رسائل تهم المرأة المسلمة

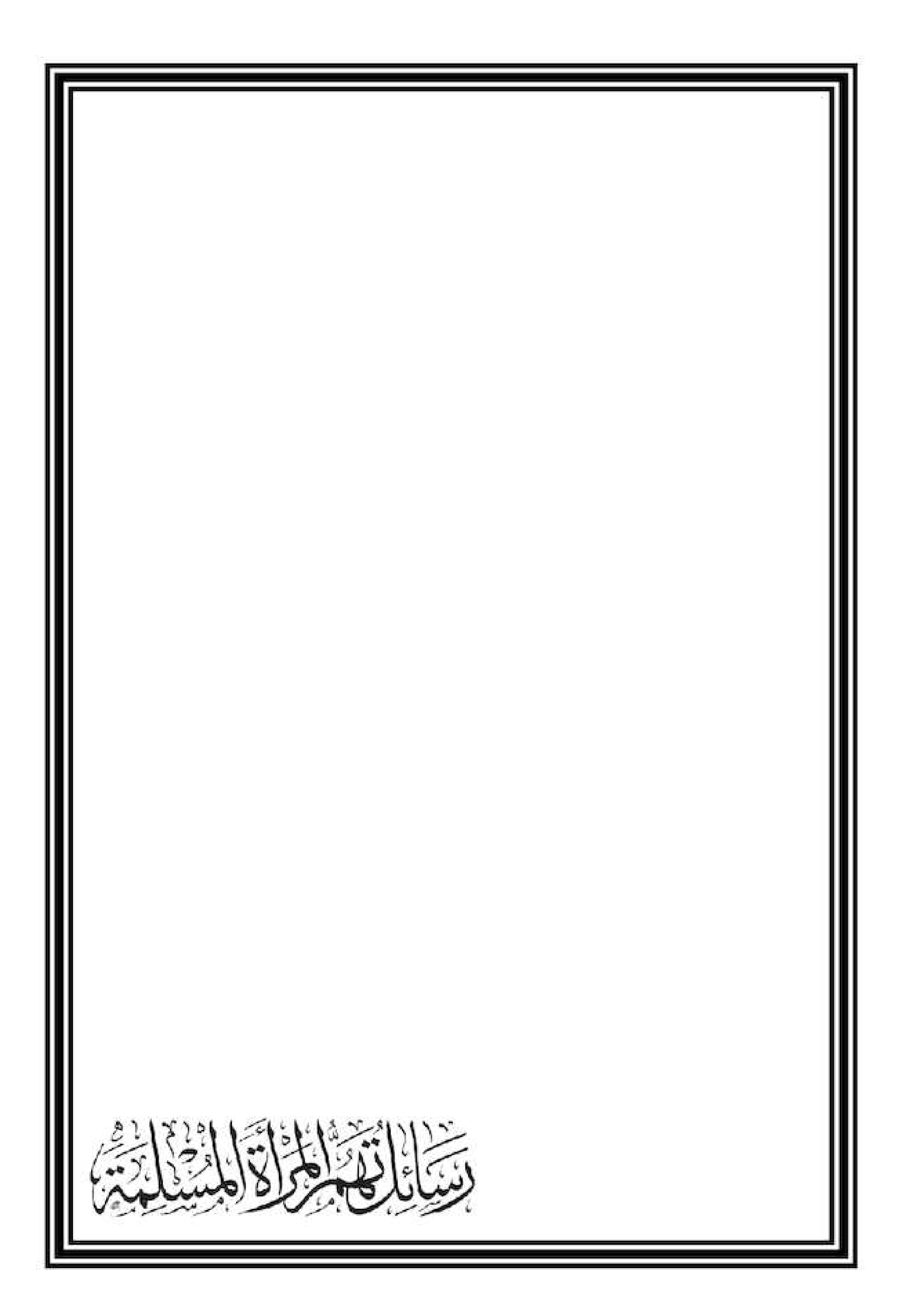
الرسالة الأولى: تكريم الإسلام للمرأة

الرسالة الثانية: موعظة النساء

الرسالة الثالثة: صفات الزوجة الصالحة



طبع على نفقة بعض المحسنين
جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة


رسائل تهم المرأة المسلمة

رسائل تهم المرأة المسلمة

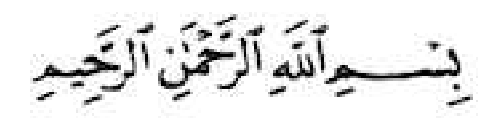
الرسالة الأولى : تكريم الإسلام للمرأة

الرسالة الثانية : موعظة النساء

الرسالة الثالثة : صفات الزوجة الصالحة

تأليف
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طبع على نفقة بعض المحسنين جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة



مقدمة المجموع:

الحمد لله، وكفىٰ، وسلام علىٰ عباده الذين اصطفىٰ، وعلىٰ الآل والصحب ومن اقتفىٰ.

أما بعد: فهذه ثلاث رسائل تخص المرأة المسلمة، وتهمها في أمر دينها، وسبيل سعادتها في دنياها وأخراها، سبق أن طُبعت كل واحدة منها مُفردة غير مرّة، وقد رغب بعض الأفاضل في طبعها في هذا المجموع؛ لكونها في باب واحد، ويُكمّل بعضها بعضا.

وأسأل الله أن يعظم النفع بها والبركة، إنه سميع مجيب.

وكتبه: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

في: ٢٢/ ١/ ١٤٣٧



الرسالة الأولى:

تكريم الإسلام للمرأة

تأليف
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدِّين، وأتمَّ علينا النِّعمة، وجعل أمَّتنا - أمَّةَ الإسلام - خيرَ أمَّة، وَبعث فينا رسولا منّا، يتلو علينا آياته، وَيزكّينا، وَيعلّمنا الكتاب والحكمة، وَالصلاة والسلام عَلىٰ مَن بُعث رحمةً للعالمين، وَقدوةً للعاملين، وَمحجّةً للسالكين وَعلىٰ آله وَأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فَإنّ نعمة الله علىٰ عَبده المُسلم عظيمةٌ، وَمنّته عَليه كبيرةٌ بهدايته إلىٰ هَذا الدِّين العظيم، دِينِ الإسلام، دِين الله الذي ارتضاه لعبَاده، وَكمَّله لهم، وَلا يقبل منهم دينًا سواه، يَقول الله تَعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. ويقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ويقول تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ويقول تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧ – ٨].

إنّه الدِّين الذي أصلح الله به العَقائد وَالأخلاق، وَأصلح به

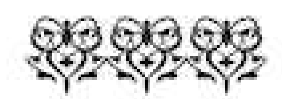
الحياة الدنيا والآخرة، وزيَّن به ظاهر المرء وباطنه، وخلّص به كلّ مَن اعتنقه وتمسّك به من براثن الباطل، ومهاوي الرَّذيلة، ومنزلقات الانحراف والضلال. إنّه الدّين القويم المحكم غاية الإحكام في أهدافه ومقاصده، و في هداياته ودلالاته، وفي نهاياته وثمراته. أخباره كلّها حقّ وصدق، وأحكامه كلّها عدل وإحسان، فما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهىٰ عنه، ولا نهىٰ عن شيءٍ فقال العقل: ليته أمر به، ولا أحل شيئا فقال العقل: ليته حرّمه، ولا حرم شيئا فقال العقل: ليته أباحه. ولم يأت قطّ علمٌ صحيحٌ ينقض شيئا من أخباره العظيمة، ولا حكمٌ سليمٌ يبطل شيئا من أحكامه القويمة.

إنه الدّين العظيمُ الذي يهدي إلىٰ الحق وإلىٰ طريق مستقيم، الصدق شعاره، والعدل مدارُه، والحقّ قوامُه، والرَّحمة روحه وغايته، والخيرُ قرينُه، والصلاحُ والإصلاحُ جماله وأعماله، والهدىٰ والرّشدُ زادُه، من تركه وترك الاهتداءَ به رحلت عنه العقيدة القويمة، والأعمال الجليلة، والأخلاق العالية النّبيلة، وحلّت محلّها أوهامُ العقول، وتفاهات الآراء، وسيِّء الأعمال، ورذيل الأخلاق.

ولهذا فإنّ أعظم كرامة ينالها العبدُ الهداية لهذا الدِّين العظيم، والتوفيق للاعتصام به والتّمسّك بهداياته، والالتزام بدلالاته

وإرشاداته، والبعد التام والحذر الكامل عن كلّ ما ينهىٰ عنه ويحذر منه.

ومن كمال هذا الدين العظيم وجماله تكريمه للمرأة المسلمة، وصيانته لها، وعنايته بحقوقها، ومنعه من ظلمها والاعتداء عليها، أو استغلال ضعفها، أو نحو ذلك، وجعل لها في نفسها ولمن تعيش معهم من الضوابط العظيمة، والتوجيهات الحكيمة، والإرشادات القويمة ما يحقق لها حياة هنيَّة، ومعيشة سويّة، وأنسًا وسعادة في الدنيا والآخرة.



أصـول مهمّـة

ولا بدّ للمسلم في هذا المقام العظيم أن يكون مدركا لجملةٍ من الأصول المهمّة، والضوابط العظيمة، ليتحقق له بالعلم بها ومُلاحظتها والسير علىٰ وفقها، الإكرامُ الحقيقي، والإنعام التام الكامل، والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة.

أوّلا: أن يعلم العبدُ علم اليقين أنّ أحسن الأحكام وأقومها وأكملها وأجملها أحكامُ ربِّ العالمين وخالق الخلق أجمعين، قال تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]. وقال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩].

ثانيًا: أن يدركَ العبدُ أنّ سعادته وكرامته مرتبطةٌ تمام الارتباط بطاعته لربِّه، والتزامه بأحكامه، وأنّ حظّه ونصيبه من ذلك بحسب حظِّه ونصيبه من الطاعة والالتزام، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. وقال تعالىٰ عن صاحب يس: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ

﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس: ٢٥-٢٧]. وقال تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]. وقال تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

ثالثا: أن يتنبّه العبدُ المسلم، والأمَة المسلمة أنّ لهما في هذه الحياة الدنيا أعداءَ كثر، يسعون للإطاحة بكرامتهما، وخلخلة سبيل عزّهما وسعادتهما، وَيقدِّمون كلّ ما يستطيعون في سبيل النّيل منهما وإهانتهما.

ويأتي في مقدمة هؤلاء: الشيطان عدوّ الله، وعدوّ الإسلام، وعدوّ عباده المؤمنين، الذي غاظه أشدّ الغيظ إكرامُ الله للمؤمنين بهذا الدِّين، وهدايته لهم صراطه المستقيم، فأعلن عليهم حربًا شعواء، وقعد لهم بكلّ صراطٍ، وأتىٰ إليهم من كلّ جانبٍ يريد إهدارَ كرامتهم وتضييع عزِّهم وشرفِهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا

﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤﴾ [الإسراء: ٦١-٦٤]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٦]. فوجب علىٰ كلّ مسلم ومسلمة أن يحذر منه، ومن كلّ عدوٍّ يهدف إلىٰ إبعادهما عن هذا الإكرام.

رابعًا: أن يؤمن أنّ توفيقَه، وصلاحَ أمره، واستقامة حاله، وتحقق كرامته؛ بيد سيِّده ومولاه: رب العزة سبحانه، القائل: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]. ولهذا فإنّ عليه أن يقوي صلتَه به سبحانه، ويطلب كرامته منه، وقد كان من دعاء النبيِّ ﷺ: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كلّ خير، والموت راحةً لي من كل شرٍّ»[1]. وفي هذا دلالة علىٰ أنّه لا غنىٰ لأحدٍ عن ربِّه؛ في صلاح أموره، واستقامة شؤونه، وتحقق كرامته وإكرامه.

خامسًا: أن يجعل أكبر همِّه في هذه الحياة الدنيا أن يكون كريمًا عند الله، حتىٰ يحظىٰ بإكرام الله له، وأن يسعد بما أعدّه اللهُ سبحانه لعباده المكرمين، الذين قال فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾ [المعارج: ٣٥]. فتلك هي الكرامة الحقيقيّة، ونيل ذلك إنّما يكون بتحقيق

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢).

تقواه سبحانه في السرِّ والعلن، والغيب والشهادة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبيِّ ﷺ: من أكرمُ الناس؟ قال: «أكرمهم أتقاهم»[١].

ومن ابتغىٰ الكرامةَ من غير هذا السبيل؛ فإنّما يركض في سراب، ويسعىٰ في سبيل خيبةٍ وتباب.

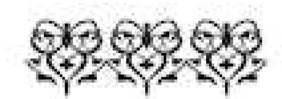
سادسًا: أنّ المرأة علىٰ وجه الخصوص يلزمها أن تعلم أنّ أحكام الشرع المتعلّقة بشأنها؛ محكمةٌ غايةَ الإحكام، متقنةٌ غايةَ الإتقان، لا نقص فيها ولا خلل، ولا ظلمَ فيها ولا زلل، كيف لا وهي أحكامُ خير الحاكمين، وتنزيل ربِّ العالمين، الحكيمُ في تدبيره، البصير بعباده، العليمُ بما فيه سعادتهم وَفلاحُهم، وصلاحُهم في الدنيا والآخرة، ولهذا فإنّ من أعظم العدوان وأشدّ الإثم والهوان، أن يقال في شيءٍ من أحكام الله المتعلّقة بالمرأة أو غيرها، إنّ فيها ظلمًا، أو هضمًا، أو إجحافًا، أو زللا، ومن قال ذلك أو شيئا منه؛ فما قدر ربَّه حقّ قدره، ولا وقّره حقَّ توقيره، واللهُ جلّ وعلا يقول: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]. أي: لا تعاملونه معاملة من توقّرونه، والتوقيرُ: التعظيم، ومن توقيره سبحانه: أن تُلتزم أحكامُه، وتطاع أوامرُه، ويُعتقد أنّ فيها السلامةَ والكمال والرِّفعة، ومن اعتقد فيها خلاف ذلك؛ فما أبعده عن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٤).

الوقار، وما أجدره في الدنيا والآخرة بالخزي والعار.

فهذه أصول مهمّةٌ، وضوابط عظيمة، يجدر التنبه لها والعناية بها بين يدي هذا الموضوع، بل هي في الحقيقة ركائزه التي عليها يُبنىٰ، وأُسُسُه التي عليها يقوم.



من هي المرأة؟

المرأة في اللغة: تأنيث المرء، ويقال: امرأة، ومَرَة، ولا جمع لمفردها، وإنّما تجمع علىٰ نساء ونسوة، وهي ذلك المخلوق الذي أوجده الله عزّ وجلّ ليكون شريكا للرجل في حياته، وقد خلقت في الأصل من الرجل نفسه، ليكون ذلك أعمق في التجانس وأوثق في الصلة والتقارب، ولتتحقق بينهما المودّة والرحمة في أبهىٰ حلّة وأجمل صورة.

قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾ [الروم: ٢١]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢ ﴾ [النحل: ٧٢].

وقد دلّت الآيات علىٰ أنّ حوّاء زوج آدم عليه السلام قد خلقت منه. ثمَّ بثّ سبحانه منهما رجالا كثيرا ونساءً، وذلك عن طريق التزاوج، الذي يكون به الحمل والإنجاب.

وجعل في الرجل مقوِّماته وخصائصه، وجعل في المرأة مقوَّماتها وخصائصها، وخروج كلّ منهما عن مقوِّماته وخصائصه يُعدّ ميلا عن الفطرة، وانحرافًا عن السبيل. وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنّ المرأة خلقت من ضلع، وإنّ أعوج شيءٍ في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرته، وإن استمتعتَ بها استمتعت بها وفيها عوج»[١].

قال النووي رحمه الله: «وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم، أنّ حواء خلقت من ضلع آدم، قال الله تعالىٰ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١].»[٢]. وهذا يفيد أنّ المرأة في أساس بنيتها، وأصل خلقتها قد مُيِّزت ببعض الخصائص والمقوِّمات التي تجعل لها وضعًا خاصاً، وأسلوبًا معيَّنًا في الحياة، ينطلق من أنوثتها وأمومتها ورقَّتها وضعفها، وكثرة تقلّب أحوالها، فهي تحيض، وتحمل، وتتوحّم، وتلد، وترضع، وتباشر حضانة مولودها، إلىٰ غير ذلك مما هي مختصّة به، كما أنّ الرجل له خصائصه ومقوِّماته.

وليس لأحد الطرفين أن يتطلّع إلىٰ خصائص الطرف الآخر، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).
(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٠/ ٥٧).

مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢]. وقال تعالىٰ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤].

وقوامة الرجل علىٰ المرأة هو مما فضّل الله به بعضهم علىٰ بعض، ومن ذلك ما خصَّ به الرجل من كمال العقل والرزانة والصبر والجلد والتحمّل والقوّة مما ليس للمرأة مثله، ولهذا جعل للرجل علىٰ المرأة حقوقًا تتناسب مع قدراتها وأساس تكوينها، وجعل للمرأة علىٰ الرجل حقوقًا تتناسب مع قدراته وأساس تكوينه.

ما حقيقة تكريم الإنسان؟

ومن يتأمّل في دلالات النصوص وهدايات الأدلّة يجد أنّ تكريم الله جلّ وعلا للإنسان علىٰ نوعين:

١- تكريمٌ عام؛ وهو ما بيَّنه تعالىٰ بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]..

قال القرطبي رحمه الله: «وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم علىٰ هذه الهيئة في امتداد القامة، وحسن الصورة، وحملهم في البرِّ والبحر مما لا يصحُّ لحيوانٍ سوىٰ بني آدم، وأن يتحمّل بإرادته وقصده وتدبيره. وتخصيصهم بما خصّهم به من المطاعم والمشارب والملابس، وهذا لا يتّسع في حيوان كاتّساعه في بني آدم؛ لأنّهم يكسبون المال خاصّةً دون الحيوان، ويلبسون الثياب، ويأكلون المرَكّبات من الأطعمة. وغاية كلّ حيوان يأكل لحمًا نيًّا أو طعامًا غير مركّب»[1].

وقال ابن كثير، عليه رحمة الله: «يخبر تعالىٰ عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إيّاهم في خلقه لهم علىٰ أحسن الهيئات وأكملها

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٢٩٩).

كقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. أي يمشي قائمًا منتصبًا علىٰ رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي علىٰ أربع ويأكل بفمه، وجعل له سمعًا وبصرا وفؤادا؛ يفقه بذلك كلّه وينتفع به، ويفرّق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصّها، ومضارّها في الأمور الدينية والدنيوية»(١).

٢ - وتكريمٌ خاص؛ وذلك بالهداية لهذا الدين، والتوفيق لطاعة ربِّ العالمين، وهذه هي الكرامة الحقيقية، والعزّ الكامل، والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، إذ إنّ الإسلام هو دينُ الله عزّ وجلّ، دين العزّة والكرامة، والرِّفعة والاستقامة، فلله العزّة ولرسوله وللمؤمنين.

يقول الله تعالىٰ مبيِّنًا أنّ الكرامة إنّما تكون بالإذعان لعظمته، والخضوع لكبريائه، والامتثال لأوامره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

فمن لم يوفّق للإيمان، ولم يلتزم بطاعة الرحمن، فهو مهان غير مكرم، وحظ الإنسان من الكرامة والسلامة من الإهانة بحسب حظه من الإيمان قولا واعتقادا وعملا، فمن طلب العزّة

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥١).

بغير الدِّين ذلّ، ومن رام الكرامة بغير الإسلام أهين.

ومما ينبغي أن يعلم هنا أنّ التكريم في النوع الأول وهو التكريم العام يستلزم من الإنسان القيام بأسباب نيل التكريم الثاني وهو التكريم الخاص. بمعنىٰ: أنّ من أكرمه الله بالمال والصحّة والعافية إلي غير ذلك، يلزمه أن يبذل وسعه في طاعته، ويقدم جهده في سبيل مرضاته، وإلاّ فإنّ الله عزّ وجلّ سيسأله يوم القيامة عن ذلك الإكرام.

روىٰ مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قالوا: يا سول الله! هل نرىٰ ربَّنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟» قالوا: لا. قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟» قالوا: لا، قال: «فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربّكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال: فيلقىٰ العبد فيقول: أي فلْ ألم أكرمْك، وأسوِّدك، وأزوِّجك، وأسخّر لك الخيلَ والإبل، وأذرك ترأس وتربْع؟ فيقول: بلىٰ، قال: فيقول: أفظننت أنّك ملاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإنّي أنساك كما نسيتني، ثم يلقىٰ الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسوِّدك وأزوِّجك وأسخّر لك الخيلَ والإبل وأذرك ترأس وتربْع؟ فيقول: بلىٰ أي ربّ، فيقول: أفظننت أنّك ملاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقىٰ الثالث، فيقول

له مثل ذلك، فيقول: يا ربِّ آمنت بك وبكتابك وبرسلك، وصلّيت وصمت وتصدّقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذًا، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدًا عليك، ويتفكّر في نفسه من ذا الذي يشهد عليّ؟! فيختم علىٰ فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليُعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط اللهُ عليه»[١].

قوله: «أي فل» أي: يا فلان.

والحديث واضح الدلالة في أنّ الإنسان يُسأل يوم القيامة عن إكرام الله له بالعافية والصحة، والمال والمسكن، والطعام والشراب إلي غير ذلك، إذ إنّه سبحانه أكرمه بذلك ليقوم بطاعة الله وليعمل في مرضاته سبحانه، فإذا صرف النعمة في غير حقِّها، واستعملها في غير وجهها حوسب علىٰ ذلك يوم القيامة.

❀❀❀

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٨).

كرامة المرأة في الإسلام

إنّ الدين الإسلامي الحنيف بتوجيهاته السديدة، وإرشاداته الحكيمة، صان المرأة المسلمة، وحفظَ لها شرفها وكرامتَها، وتكفّل بتحقيق عزِّها وسعادتها، وهيّأ لها أسبابَ العيش الهنيء، بعيدا عن مواطن الريب والفتن، والشرِّ والفساد، وهذا كلّه من عظيم رحمة الله بعباده حيث أنزل عليهم شريعته ناصحةً لهم، ومصلحةً لفسادهم، ومقوِّمةً لاعوجاجهم، ومتكفِّلةً بسعادتهم، وتلك التدابير العظيمة التي جاء بها الإسلام تعدّ صِمامَ أمانٍ للمرأة، بل للمجتمع بأسره من أن تحلّ به الشرورُ والفتن، وأن تنزل به البلايا والمحن، وإذا ترحّلت ضوابط الإسلام المتعلّقة بالمرأة عن المجتمع حلّ به الدمار، وتوالت عليه الشرورُ والأخطارُ، والتاريخ من أكبر الشواهد علىٰ ذلك، إذ من يتأمّل التاريخ علىٰ طول مداه يجد أنّ من أكبر أسباب انهيار الحضارات، وتفكّك المجتمعات، وتحلل الأخلاق، وفشوِّ الرذائل، وفساد القيم، وانتشار الجرائم، هو تبرّج المرأة وسفورُها ومخالطتها للرجال، ومبالغتها في الزينة والاختلاط، وخلوتها مع الأجانب، وارتيادُها للمنتديات العامة، وهي في أتمّ زينتها، وأبهىٰ حلّتها، وأكمل تعطّرها.

قال ابن القيم: «ولا ريب أنّ تمكين النساء من اختلاطهنّ بالرجال أصل كلّ بليّة وشرّ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنّه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سببٌ لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة[١]، ولّما اختلط البغايا بعسكر موسىٰ، وفشت فيهم الفاحشة، أرسل اللهُ عليهم الطاعون، فمات في يوم واحدٍ سبعون ألفًا، والقصة مشهورةٌ في كتب التفاسير، فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا، بسبب تمكين النساء من اختلاطهنّ بالرجال، والمشي بينهم متبرِّجات ومتجمّلات، ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية - قبل الدين - لكانوا أشدّ شيءٍ منعًا لذلك»[٢]. اهـ كلامه.

فالإسلام جاء فيه من التدابير الوقائية والإجراءات العلاجية ما يقطع دابر تلك الفتن ويخلص المجتمع من تلك الآفات والشرور، فهي تعاليم مباركة تعين علىٰ اجتناب الموبقات و البعد عن الفواحش والمهلكات، رحمةً من الله بالعباد، وصيانةً لأعراضهم، وحمايةً لهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وقد جاء في الإسلام ما يدلّ علىٰ أنّ الفتنة بالنساء إذا وقعت

---

(١) مثل: الإيدز، والزهري، والسل، وغيرها.

(٢) «الطرق الحكمية» (ص: ٢٨١).

ترتّب عليها من المفاسد والشرور والأخطار ما لا يدرك مداه، ولا تحمد نهايته وعقباه.

روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء»[1].

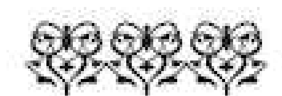
وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[2].

ولأجل هذا جعل لها وللرجل من الضوابط القويمة، والتوجيهات العظيمة، التي يتحقق بالقيام بها كلّ خيرٍ وفضيلةٍ وكرامةٍ في الدنيا والآخرة. يقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١]. ويقول تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٥]. ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩]. والنصوص في هذا

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

المعنىٰ في الكتاب والسنة كثيرة، والإسلام لم يفرض تلك الضوابط كبتا للحريات، ولا لأجل التضييق علىٰ الناس، وإنّما أمر بذلك؛ صيانةً للمجتمع، ومحافظةً علىٰ فضيلته، وإبقاء علىٰ عزته وكرامته.

ولم يفرض الإسلام علىٰ المرأة المسلمة تلك الضوابط ليكبت حريَّتها، وإنّما جاء بذلك ليصونها عن الابتذال، وليحميها من التعرض للفاحشة، وليمنعها من الوقوع في الجريمة والفساد، وليكسوها بذلك حلّة التقوىٰ والطهارة والعفاف، فسدّ بذلك كلّ ذريعةٍ تفضي إلىٰ الفاحشة، أو توقع في الرذيلة، وتلك هي الكرامة الحقيقية للمرأة.



من هدايات القرآن في الإحسان إلى المرأة

مَن يتأمل كتاب الله عَزّ وجلّ الذي أنزله الله عَلىٰ عباده هدىٰ وَرحمة، وضياء وَنورا، وَذكرىٰ للذاكرين؛ يَجد فيه عناية عَظيمةً بشأن المَرأة، وَحثّا بالغا عَلىٰ رعاية حقوقها، وَتحذيرا شَديدا مِن ظلمهَا والتّعدِّي عليها، وَفي القرآن الكريم من الآيات الكريمة المقرّرة لهذا الأمر الشيء الكثير، بَل في القرآن الكريم: «سورة النساء»، وفيها آياتٌ عديدةٌ تتعلّق بالنساء، وبيان ما لهنّ من الحقوق العظيمة.

ومن هدايات القرآن في الإحسان إلىٰ المرأة ما يلي:

١ - الأمر بالتعَامل مَع المرأة في حُدود المَعروف وَالإحسان، وفق حدود عظيمة وَضوابط قويمة، وَحذّر من ظلمها أو تعدّي حدود الله التي شَرعها لعباده في التعَامل مَعهَا.

قال تَعالىٰ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا

تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩-٢٣٢].

٢ - وضع الضوابط الدقيقة المتعلّقة بالنفقة علىٰ المرأة حال إمساكها، أو تسريحها، مع الحثّ علىٰ مراعاة جانب الإحسان إليها، وتغليب ذلك في كلّ الأحوال.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٦-٢٣٧].

٣- أوجب علىٰ الزوج إعطاء الزوجة المهر الذي قرّره لها، إلاّ إن تنازلت له عن شيءٍ منه، فيكون له حلالا.

قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ [النساء: ٤].

٤ - حدّد لها نصيبها من الميراث مما تركه الوالدان أو غيرهما من أقاربها، علىٰ حسب نوع القرابة، وفي حدود ما تستحقّ.

قال تعالىٰ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا

تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ٧].

٥- حذّر من عضل المرأة، أو التضييق عليها، أو الرجوع في شيءٍ من صداقها.

قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ١٩-٢١].

٦ – بيَّن ما لكلّ واحدٍ من ميزات وفضائل، وحذّر من تطلّع أحدهما إلىٰ ما فُضِّل به الآخر.

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢].

٧ – جعلها قرينةً للرجل في الطاعة والتقرّب إلىٰ الله، مأمورة بما أمره به من العبادة، ولكلّ منهما يوم القيامة أجرُه وثوابُه، علىٰ قدر إخلاصه وجِدِّهِ وعبادته، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ

وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٨ - وضع الضوابط الدقيقة لمعالجة النشوز والإعراض، أو نحو ذلك من الخلافات التي قد تقع بين الزوجين.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٨-١٢٩].

٩ -نعىٰ علىٰ المشركين كراهيتهم للأنثىٰ، وذمَّهم غاية الذم في ذلك. قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

١٠ - حذّر غاية التحذير من رمي المؤمنات المحصنات ما هنّ بريئات منه:

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٤]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ٢٣].

١١ - بيَّن أنّ الزواج من آيات الله العظيمة التي يتحقق بها السكون والمودّة والرحمة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

١٢ - وضع الضوابط المتعلّقة بالطلاق والعدّة والشهود، والنفقة حال الفراق، إلىٰ غير ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١-٢]. وقال تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ [الطلاق: ٦].

١٣ - حدّد عدد الزوجات لمن أراد التعدد بأربع نسوةٍ، بعد أن كان مُطْلَقًا، وشَرَطَه بالعدل.

قال الله تعالىٰ: ﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾ [النساء: ٢].

فهذه بعض الأمثلة من هدايات القرآن الكريم، المتعلّقة بالمرأة والإحسان إليها، والضوابط التي ينبغي أن تسلك في التعامل معها، وهي ضوابط حكيمة، وإرشادات قويمة لا تنضبط أحوال الناس، ولا تستقيم أمورهم إلاّ بالتزامها والتقيّد بها، فهي تنزيل ربّ العالمين، العليم بخلقه، الحكيم في شرعه.

الحفاوة بالمرأة في ظلّ الإسلام

إنّ المرأة المسلمة في ظلّ تعاليم الإسلام القويمة، وتوجيهاته الحكيمة، تعيش حياة كريمة، ملؤها الحفاوة والتكريم من أول يوم تقدم فيه إلىٰ هذه الحياة، مرورا بكلّ أحوالها في حياتها بنتا، أو أمًّا، أو زوجة، أو أختا، أو عمَّةً، أو خالةً، فهي في كلّ حال من هذه الأحوال لها حقوقها الخاصة، ولها نصيبها من الحفاوة والتكريم.

١ - **ففي حال كونها ابنة:** فإنّ الإسلام يدعو إلىٰ الإحسان إليها، والاهتمام بتربيتها، ورعايتها، وحسن تأديبها، لتنشأ امرأة صالحة صيِّنة عفيفة، ونعىٰ علىٰ الجاهلين وأدهم لها، وكراهيتهم لمجيئها، يقول تعالىٰ عنهم: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

وجاء في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة ﵁ عن النّبيّ ﷺ قال: «إنّ الله حرّم عليكم عقوق الأمهات، ومنعًا وهات، ووأد البنات...»[١].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر: أنّ أهل الجاهلية كانوا في صفة

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٥)، ومسلم (٥٩٣).

الوأد على طريقتين:

الأولى: أن يأمر امرأته إذا قرب وضعُها أن تطلق بجانب حفيرة، فإذا وضعت ذكرا أبقته، وإذا وضعت أنثى طرحتها في الحفيرة.

الثانية: كان بعضهم إذا صارت البنت في السنة السادسة، قال لأمّها: طيبيها وزينيها لأزور بها أقاربها، ثم يبعد بها في الصحراء حتى يأتي البئر، فيقول لها: انظري فيها، ويدفعها من خلفها ويطمها[(١)].

بينما الإسلام عدّها نعمةً عظيمةً وهبةً كريمةً من الله جلّ وعلا: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠]. وحضّ على العناية بها تأديبًا وتربيةً وتعليمًا.

ففي المسند للإمام أحمد عن النّبيّ ﷺ قال: «من كانت له أنثى فلم يئدها، ولم يُهنها، ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله تعالى الجنّة»[(٢)].

وروى ابن ماجه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان له ثلاث بناتٍ، وصبر عليهنّ، وكساهنّ من

(١) انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٢١).
(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٣).

جِدَته، كنّ له حجابًا من النار»[١].

وروىٰ مسلم في صحيحه أنّ النّبي ﷺ: قال: «من عال جاريتين حتىٰ تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين» وضمَّ أصابعه[٢].

وروىٰ الإمام أحمد أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «من عال ابنتين، أو ثلاث بنات، أو أختين، أو ثلاث أخوات، حتىٰ يبلغن، أو يموت عنهنّ؛ أنا وهو كهاتين». وأشار بأصبعه السبابة[٣].

وروىٰ البخاري في الأدب المفرد عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له ثلاث بنات، يؤويهنّ، ويكفيهنّ، ويرحمهنّ؛ فقد وجبت له الجنّة البتّة». فقال رجل من بعض القوم: وثنتين يا رسول الله؟ قال: «وثنتين»[٤].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلىٰ النّبيِّ ﷺ، فقال: أتقبِّلون صبيانكم؟ فما نقبِّلهم. فقال النّبيّ ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»[٥].

٢ - ودعا الإسلام إلىٰ إكرام المرأة إكرامًا خاصًّا وعظيمًا حال

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣١).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٨).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٧٨).

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧).

كونها أمًّا: ببرِّها، والإحسان إليها، والسعي في خدمتها، والدعاء لها، وعدم تعريضها لأيِّ نوع من الأذىٰ، ومعاملتها معاملة أحسن الأصحاب، وأفضل الرفقاء، قال الله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل «يا رسول الله! من أبرّ؟ قال: أمّك، قال: ثم من؟ قال: أمَّك، قال: ثم من ؟ قال: أباك»[(١)].

وروىٰ أبو داود وابن ماجه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلىٰ النّبيّ ﷺ يبايعه علىٰ الهجرة، وترك أبويه يبكيان، فقال: «ارجع إليهما، وأضحكهما كما أبكيتَهما»[(٢)].

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النّبيَّ ﷺ: أيّ العمل أحبّ إلىٰ الله عزّ وجلّ؟ قال: «الصلاة علىٰ

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).
(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٢٨)، وابن ماجه (٢٧٨٢).

وقتها»، قلت: ثم أيّ؟ قال: «برّ الوالدين»، قلت: ثم أيّ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»[١].

وحذّر الإسلام من إيذاء الوالدين، أو إلحاق أيّ نوع من الضّرر بهما، وعدّ ذلك عقوقًا يحاسب المرء عليه يوم القيامة، بل عدّ ذلك من كبائر الذنوب.

ففي الصّحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبّئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثا. قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»، وجلس وكان متّكئا، فقال: «ألا وقول الزور». ما زال يكرّرها حتىٰ قلنا: ليته سكت[٢].

وروىٰ مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «لعن اللهُ من لعن والديه»[٣].

٣ - وحثّ الإسلام علىٰ إكرام المرأة حال كونها زوجة: وجعل لها حقوقًا عظيمةً علىٰ زوجها، كما أنّ له عليها حقوقًا عظيمةً.

ومن حقوق الزوجة في الاسلام: المعاشرة بالمعروف، والإحسان إليها في المأكل والمشرب والملبس، والرِّفق بها، وإكرامها، والصّبر عليها، ومعاملتها معاملةً كريمةً. وفي الإسلام:

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).
(٣) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

خيرُ الناس خيرُهم لأهله.

ومن حقوقها: أن يعلّمها دينَها، وأن يغار عليها، ويحفظ كرامتها، ويحسن معاشرتها.

ومن الآيات الجامعة لحقوق الزوجة: قوله تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وقد جاء في السنة أحاديث عديدة في التأكيد علىٰ مراعاة حقوق الزوجة والعناية بها؛ ومن ذلك: ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا، فإنّ المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإنّ أعوج شيءٍ في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»[1]. قال النووي رحمه الله: (وفي هذا: ملاطفة النساء، والإحسان إليهن، والصبر علىٰ عوج أخلاقهنّ، واحتمال ضعف عقولهنّ، وكراهة طلاقهنّ بلا سبب، وأنه لا يطمع باستقامتها، والله أعلم)[2].

وروىٰ أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خلقًا، وخيارُكم خيارُكم لنسائهم»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٠/ ٥٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢).

وروى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال في خطبته في حجة الوداع: «فاتّقوا الله في النساء، فإنّكم أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله، ولكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك؛ فاضربوهنّ ضربًا غير مبرّح، ولهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف»(١).

والمراد بقوله: «أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه» أي: لا يأذنّ لأحدٍ تكرهونه في دخول بيوتكم، والجلوس في منازلكم؛ رجلا كان أو امرأةً.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَفْرك مؤمن مؤمنةً، إن كره منها خلقًا؛ رضي منها آخر»(٢).

ومعنى لا يَفرك: أي: لا يبغض، فمن وجد في امرأته خلقًا لا يعجبه ولا يرضيه، ففيها من الأخلاق الفاضلة والمعاملات الكريمة الشيء الكثير.

وروى أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّما النساء شقائق الرجال»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٦٩).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٢٥٦، ٢٧٧)، وأبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣).

قال ابنُ الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر»: «أي: نظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطباع، كأنّهنّ شققن منهم، ولأنّ حوّاء خلقت من آدم عليه السلام، وشقيق الرجل أخوه لأبيه وأمّه، ويُجمع علىٰ أشقّاء»(١).

وفي هذا من الدعوة إلىٰ حسن العشرة، وطيب المعاملة، والتلطّف والإحسان ما لا يخفىٰ.

٤ -وأوصىٰ الإسلام بالمرأة أختًا وعمّةً وخالةً: وأمر بصلتها والإحسان إليها، ومعرفة حقّها، ورتّب علىٰ ذلك ثوابًا عظيمًا، وأجرا جزيلا.

روىٰ البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه عن المقدام بن معدي كرب أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنّ اللهَ يوصيكم بأمّهاتكم، ثم يوصيكم بأمّهاتكم، ثمَّ يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب»(٢).

وروىٰ الترمذي وأبو داود عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا يكون لأحدٍ ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، فيحسن إليهنّ؛ إلاّ دخل الجنّة»(٣).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «الرحم

(١) «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٩٢).
(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٠)، وابن ماجه (٣٦٦١).
(٣) أخرجه الترمذي (١٩١٢)، وأبو داود (٥١٤٧).

شجنةٌ من الله، من وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله»[١].

وفي الصحيحين أيضًا عن أنس بن مالك ﵁ أنّ رسول الله ﷺ قال: «من أحبَّ أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره؛ فليصل رحمه»[٢].

٥ - **بل لو كانت المرأة أجنبية علىٰ الإنسان**، ليست قريبةً له، وهي بحاجة إلىٰ العون، والمساعدة فالإسلام يحثّ علىٰ رعايتها، والإحسان إليها، ومساعدتها، ويرتّب علىٰ ذلك الأجورَ العظيمة.

ففي الصحيحين عن النّبيّ ﷺ قال: «الساعي علىٰ الأرملة والمسكين؛ كالمجاهد في سبيل الله، أو كالقائم الذي لا يفتر، أو كالصائم الذي لا يفطر»[٣].

فهذا نزرٌ قليل من الحفاوة والتكريم الذي تناله المرأة في ظلّ تعاليم الاسلام، وهيهات أن تجد المرأة مثل هذه العناية العظيمة، والتكريم الرائع، والإحسان البالغ، بل ولا قريبًا منه، في غير هذا الدين العظيم؛ دينِ الله الذي رضيه لعباده.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥).
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).
(٣) أخرجه البخاري (٦٠٠٧)، ومسلم (٢٩٨٢).

الغيرة على المرأة المسلمة[(١)]

إنّ من روائع صور تكريم الإسلام للمرأة المسلمة: ما غرسه في نفوس المسلمين من الغيرة علىٰ المحارم، وهي: خلق عظيم، ووصف كريم، يقوم في قلب الرجل المسلم يدفعه إلىٰ رعاية حريمه وحراستهنّ، وصيانة شرفهنّ وكرامتهنّ، ومنعهنّ من التبرج والسفور والاختلاط.

ويعد الإسلام الدفاع عن العرض، والغيرة علىٰ الحريم جهادا يبذل من أجله الدم، ويضحىٰ في سبيله بالنفس، ويجازىٰ فاعله بدرجة الشهيد في الجنة.

فعن سعيد بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد». وفي لفظ: «من مات دون عرضه فهو شهيد»[(٢)].

بل يعد الإسلام الغيرة من صميم أخلاق الإيمان، فعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلا مع

---

(١) «عودة الحجاب»، للشيخ محمد بن أحمد إسماعيل المقدّم (القسم الثالث)، (ص: ١١٤-١٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢٠).

امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «تعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن». متفق عليه.(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله يغار، وإنّ المؤمن يغار، وإنّ من غيرة الله: أن يأتي المؤمن ما حرّم الله عليه». متفق عليه(٢).

وضد الغيور: الدّيّوث، وهو الذي يقرّ الخبث في أهله، فلا يكون فيه غيرةٌ عليهم، وقد ورد في الاسلام الوعيد الشديد في حقّ من كان كذلك.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا ينظر الله عزّ وجلّ إليهم يوم القيامة: العاقّ لوالديه، والمرأة المترجّلة، والديّوث». رواه أحمد(٣) وغيره.

والتاريخ مليءٌ بالقصص المعبِّرة عن شدّة غيرة المسلمين على حريمهم، وعظيم عنايتهم بهذا الأمر العظيم.

ومن الحوادث العجيبة في ذلك: ما ذكره ابن الجوزي في كتابه «المنتظم» عن محمد بن موسى القاضي قال: حضرت مجلس

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٤٦)، ومسلم (١٤٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٣٤، ٦٩، ١٢٨).

موسىٰ بن إسحاق القاضي بالري سنة ست وثمانين ومائتين، فتقدّمت امرأةٌ، فادّعىٰ وليّها علىٰ زوجها خمسمائة دينار مهرا، فأنكر، فقال القاضي: شهودك، قال: قد أحضرتهم، فاستدعىٰ بعض الشهود أن ينظر إلىٰ المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة: قومي، فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قال: ينظرون إلىٰ امرأتك وهي مسفرة، لتصحَّ عندهم معرفتها، فقال الزوج: فإني أشهد القاضي أنّ لها عليَّ هذا المهر الذي تدّعيه، ولا يُسفر عن وجهها. فأخبرت المرأة بما كان من زوجها، فقالت: فإني أشهد القاضي بأني قد وهبت له هذا المهر، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة. فقال القاضي: يُكتب هذا في مكارم الأخلاق[1].

نعم، يُكتب هذا في مكارم الأخلاق، وجليل الآداب، ورفيع القيم، وأين هذا ممن لا يقيم لحرمه وزنًا، ولا يستشعر تجاه أهله شيئا من هذه القيم النبيلة والخصال الكريمة.

---

(١) «المنتظم لابن الجوزي» (١٢/ ٤٠٣).

الإسلام منقذٌ للمرأة

إنّ من ينظر إلىٰ حال المرأة المسلمة في ظل تعاليم الإسلام الكريمة، وتوجيهاته العظيمة، يجد أنّ الإسلامَ منقذٌ للمرأة من براثن الرذيلة، ومخلصٌ لها من حمأة الفساد، فهي في كنف الإسلام وتحت رعايته، تعيش حياة الطهر والعفاف، والستر والحياء، منيعة الجانب، رفيعة القدر، في أدب رفيع، وخلق عظيم، وحياء جمٍّ، بعيدة عن عبث الذئاب، وولوغ الفساق، وكيد المجرمين، ومَن يتأمَّل أحوال المرأة في الجاهلية ثم أحوالَها في الإسلام؛ يتبيَّن هذه الحقيقة بجلاء.

روىٰ البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير: أنّ عائشة رضي الله عنها زوج النّبيّ ﷺ أخبرته: «أنّ النكاح في الجاهلية كان علىٰ أربعة أنحاء: فنكاح منها: نكاح الناس اليوم، يخطب الرَّجل إلىٰ الرَّجل وليَّته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها. ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلىٰ فلان، فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها، ولا يَمسُّها أبدا، حتىٰ يتبيَّن حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبيَّن حملها؛ أصابها زوجها إذا أحبَّ، وإنّما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاحَ الاستبضاع. ونكاح آخر: يجتمع الرَّهط ما دون العشرة،

فيدخلون علىٰ المرأة، كلّهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومرَّ ليل بعد أن تضع حملها؛ أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتىٰ يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمِّي من أحبَّت باسمه، فيلحق به ولدها، ولا يستطيع أن يمتنع عنه الرجل. والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثيرون، فيدخلون علىٰ المرأة، لا تمنع من جاءها، وهنّ البغايا، كنّ ينصبن علىٰ أبوابهنّ الرايات تكون علَمًا، فمَن أرادهنّ دخل عليهنّ، فإذا حملت إحداهنّ ووضعت حملها، جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدَها بالذي يرون، فالتاطته به[1]، ودُعي ابنه لا يمتنع من ذلك. فلما بُعث محمد ﷺ بالحقِّ؛ هدم نكاح الجاهلية كلّه، إلاَّ نكاح الناس اليوم»[2].

لقد «كانت المرأة تشترىٰ وتباع كالبهيمة والمتاع، وكانت تكره علىٰ الزواج وعلىٰ البغاء، وكانت تورَث ولا ترث، وكانت تُملك ولا تَملك، وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل، وكانوا يرون للزوج الحقَّ في التصرف بمالها من دونها. وقد اختلف الرجال في بعض البلاد في كونها إنسانًا ذات نفس وروح خالدة كالرجل أم لا؟ وفي كونها تلقن الدين

---

(١) أي: استلحقته به، وأصل اللوط: اللصوق.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٥١٢٧).

وتصح منها العبادة أم لا؟ وفي كونها تدخل الجنة أو الملكوت في الآخرة أم لا؟ فقرَّر أحد المجامع في رومية أنّها حيوان نجس لا روح له ولا خلود، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة، وأن يُكمَّ فَمُها كالبعير والكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام؛ لأنّها أحبولة الشيطان. وكانت أعظم الشرائع تبيح للوالد بيع ابنته، وكان بعض العرب يرون أنّ للأب الحق في قتل بنته، بل في وأدها -دفنها حيَّة- أيضًا، وكان منهم من يرىٰ أنّه لا قصاص علىٰ الرجل في قتل المرأة ولا دية»[1]. إلىٰ غير ذلك من أنواع الظلم والاضطهاد الذي كانت تقاسيه المرأة وتتجرَّع مرارته.

ولا تزال المرأة إلىٰ يومنا هذا -في غير ظل الإسلام- تعاني أنواعًا قاسية من الأحزان المتتابعة، والصدمات العنيفة، حتىٰ إنّ بعضهنّ يتمنّينَ أن لو يُعامَلن معاملة المرأة المسلمة.

فهذه الكاتبة الشهيرة مس أترود[2] تقول: «لأن يشغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهنّ في المعامل، حيث تصبح البنت ملوَّثة بأدران تذهب برونق حياتها إلىٰ الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين، فيها الحشمة والعفاف

(١) «حقوق النساء في الإسلام»، لمحمد رشيد رضا (ص ٦).

(٢) نشر كلامها في جريدة (الاسترن ميل) في ١٠/ مايو/ ١٩٠١م، كما في «حقوق النساء في الإسلام»، لمحمد رشيد رضا (ص٧٦).

والطهارة، ردء الخادمة والرقيق يتنعَّمان بأرغد عيش ويُعاملان كما يُعامل أولاد البيت، ولا تمس الأعراض بسوء.

نعم، إنّه لعار علىٰ بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال، فما بالنا لا نسعىٰ وراء ما يجعل البنت تعمل علىٰ ما يوافق فطرتها الطبيعية؛ من القيام في البيت، وترك أعمال الرجال للرجال، سلامة لشرفها».

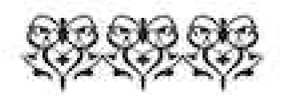
وتقول الكاتبة اللادي كوك، بجريدة ألايكو[1]: «إنّ الاختلاطَ يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة فيما يخالف فطرتها، وعلىٰ قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وهنا البلاء العظيم علىٰ المرأة، فالرجل الذي علقت منه يتركها وشأنها تتقلّب علىٰ مضجع الفاقة والعناء، وتذوق مرارة الذّل والمهانة والاضطهاد، بل الموت أيضًا، أمَّا الفاقة: فلأنّ الحمل وثقله والوحم ودواره من موانع الكسب الذي تحصل به قوتها، وأمّا العناء: فهو أن تصبح شريرة حائرة لا تدري ماذا تصنع بنفسها، وأمَّا الذلّ والعار: فأيّ عار بعد، وأمَّا الموت: فكثيرا ما تبخع نفسها بالانتحار وغيره.

هذا، والرجل لا يلم به شيء من ذلك، وفوق هذا كلّه تكون المرأة هي المسؤولة وعليها التبعة، مع أنّ عوامل الاختلاط كانت من الرجل.

(١) «حقوق النساء في الإسلام» لمحمد رشيد رضا (ص٧٧-٧٨).

أمَا آنَ لنا أن نبحث عمَّا يخفف - إذا لم نقل: عما يزيل- هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية؟ أمَا آن لنا أن نتخذ طرقًا تمنع قتل ألوف الألوف من الأطفال الذين لا ذنب لهم، بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب، المقتضي تصديق ما يوسوس به الرجل من الوعود، ويُمنِّي من الأماني، حتى إذا قضى منها وطرا؛ تركها وشأنها تقاسي العذاب الأليم...».

وهكذا يتوالى على المرأة أنواع الشرِّ والأذى والاضطهاد، وتعاني العذاب الأليم، وتتجرَّع غصص العيش، وتتمنّى لو أنقذت من ذلك كلّه؛ لتعيش عيشها الصحيح المتوائم مع فطرتها وتكوينها وما جبلت عليه، ويبقى الإسلام هو المنقذ الوحيد للمرأة، المخلص لها من ذلك كلّه، المحقق لها العزّ والراحة والطمأنينة.



صيانة الإسلام للمرأة

لقد جعل الإسلام للمرأة ضوابط دقيقة تنال بها عفّة نفسها، وصيانة فرجها، وسلامة عرضها، فأمرها بالحجاب، ورغّبها في القرار في البيت، ومنعها من التبرّج والسفور، ومن الخروج وهي متعطّرة، ونهاها عن الاختلاط، إلىٰ غير ذلك من الضوابط العظيمة، ولم تؤمر بذلك كلّه إلاّ صيانة لها من الابتذال، وحماية لها من الشرِّ والفساد، ولتكسىٰ بذلك حلل الطهر والعفاف، فهي في ميزان الإسلام درَّةٌ ثمينة، وجوهرةٌ كريمة، تصان من كلّ أذىٰ، وتحمىٰ من كلّ رذيلة.

وفيما يلي وقفة مختصرة مع أهمِّ هذه الضوابط والآداب:

١ - الحجاب:

وذلك بأن تستر المرأة جميعَ بدنها وزينتها عن الرجال الأجانب، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٢ - أن لا تخرج إلاّ لحاجة:

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

روىٰ الترمذي في سننه، عن النّبيّ ﷺ قال: «المرأة عورة، فإذا خرجت؛ استشرفها الشيطان»[١].

٣- أن لا تخضع بالقول إن تحدّثت مع أحد لحاجة:

قال الله تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب ٣٢].

٤ - أن لا تجلس في خلوة مع رجل أجنبي عنها:

ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النّبيّ ﷺ فقال: «لا يخلونّ رجل بامرأة إلّا مع ذي محرم»[٢].

٥ - أن لا تخالط الرجال:

وقد ثبت في الحديث أنّ النّبيّ ﷺ قال: «خير صفوف النساء آخرها، وشرّها أولها»[٣]. هذا في المسجد، فكيف في غيره؟

وللاختلاط أخطار عديدة، وأضرار كثيرة، سبق الإشارة إلىٰ طرف منها.

---

(١) أخرجه الترمذي (١١٧٣).
(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٣)، ومسلم (١٣٤١).
(٣) أخرجه مسلم (٤٤٠).

٦- أن لا تسافر إلاّ مع ذي محرم:

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «لا يحلّ لامرأة أن تسافر إلّا ومعها ذو محرم منها»[1].

٧- أن لا تضع شيئًا من الطيب على ملابسها عند خروجها:

روى مسلم في صحيحه عن النّبيّ ﷺ قال: «إذا شهدت إحداكنّ المسجدَ؛ فلا تَمسَّ طيبًا»[2].

وروى الإمام أحمد عن النبيّ ﷺ قال: «أيّما امرأة استعطرت، ثم خرجت، فمرَّت على قوم ليجدوا ريحها؛ فهي زانية، وكلّ عين زانية»[3].

٨- أن لا تحاول لفت أنظار الرجال الأجانب إليها:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

٩- أن تغضَّ بصرَها عن النظر إلى الرجال الأجانب:

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

١٠- أن تحافظ على طاعة ربِّها وعبادته:

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤٤٣).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٤١٤، ٤١٨).

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب].

وجميع هذه الضوابط وغيرها مِمَّا جاء في الكتاب والسنة المتعلقة بالمرأة المسلمة، تعدّ صمام أمان لها، وحارسًا لشرفها وكرامتها.

ولهذا فإنّ نعمة الله علىٰ المرأة المسلمة عظيمةٌ، ومنته عليها كبيرة جسيمة، حيث هيَّأ لها في الإسلام أسباب سعادتها، وصيانة فضيلتها، وحراسة عفّتها، وتثبيت كرامتها، ودرء المفاسد والشرور عنها، لتبقىٰ زكية النفس، طاهرة الخلق، منيعة الجانب، مصونة عن موارد التهتك والابتذال، محميّة عن أسباب الزيغ والانحراف والانحلال.

نعم، لقد أكرم الإسلامُ المرأة المسلمة أعظم إكرام، وصانها أحسن صيانة، وتكفّل لها بحياة كريمة، شعارُها: الستر والعفّة، ودثارُها: الطهر والزكاء، ورايتها: إشاعة الأدب وتثبيت الأخلاق، وغايتها: صيانة الشرف وحماية الفضيلة. وستبقىٰ المرأة المسلمة عزيزة الجانب، رفيعة المنال، صيِّنة الأخلاق؛ ما دامت متمسّكةً بدينها، محافظة علىٰ أوامر ربِّها، مطيعة لنبيِّها ﷺ، مسلمة وجهها لله، مذعنة لشرعه وحكمه بكلّ راحة وثقة واطمئنان، فتنال بذلك السعادة والراحة في الدنيا، والثواب العظيم والأجر الجزيل يوم القيامة.

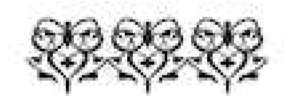
وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «إذا صلّت المرأة خَمسَها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلَها؛ دخلت من أيِّ أبواب الجنّة شاءت». رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[(١)]. وروىٰ الإمام أحمد من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: أنّ النّبيّ ﷺ: قال: «إذا صلّت المرأة خَمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها؛ قيل لها: ادخلي الجنّة من أيِّ أبواب الجنّة شئت»[(٢)].

فهنيئا للمرأة المسلمة هذا الموعود الكريم وهذا الفضل العظيم، إذا عاشت حياتها ممتثلة هذا التوجيه الكريم، غير ملتفتة إلىٰ الهمل من الناس من دعاة الفاحشة والفتنة: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء ٢٧].

ومن المؤلم حقّا أنّ المرأة المسلمة في هذه الأزمان تتعرَّض لهجمات شرسة، ومؤامرات حاقدة، ومخططات آثمة، تستهدف الإطاحة بعفّتها، وهتك شرفها، ودكّ كرامتها، ووأد فضيلتها، وخلخلة دينها وإيمانها، وإلحاقها بركب العواهر والفاجرات، وذلك من خلال: قنوات فضائيَّة مدمِّرة، ومجلاَّت خليعة هابطة، وشغلها بأنواع من الألبسة الكاسية العارية، وتهييج قلبها إلىٰ حبِّ

(١) «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٤١٦٣).
(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٩١).

التشبه بغير المسلمات مِمَّن يمشين علىٰ الأرض دون إيمان يردع، أو خلق يزَع، أو أدب يمنع، وجرها من وراء ذلك إلىٰ منابذة الشريعة، وجر أذيال الرذيلة، والبعد عن منابع العفّة والفضيلة، لا مكّنهم الله مِمَّا يريدون.



بيان مهم

في الوقت الذي يهتف فيه بعض مرضىٰ النفوس وأرباب الشهوات مِمَّن لا يبالون بالضوابط الشرعية والحدود المرعية، التي تحقق للمرأة كرامتها، وتكفل لها عزّها وسعادتها، مطالبين لها بحقوق مزعومة، وحريّات محمومة، تجرّ المرأة إلىٰ أذيال لا تدرك عاقبتها، وَمهاوٍ لا تعلم شرها وَخطرها، تَحت رايات برَّاقة وشعارات أخّاذة، مستغلين عواطف المرأة وسرعة استجابتها، وقصور نظرها في العواقب.

في هذا الوقت تأتي كلمات أهل العلم الناصحين، والدعاة الصادقين، والمحتسبين الغيورين آخذة بُحجَز المرأة عن السقوط في هذه المهاوي، والارتكاس في هذه السبل؛ حفاظا علىٰ كرامتها ولتبقىٰ عزيزة الجانب، صيِّنة الأكناف، حسنة السيرة، بعيدة عن التلوث بأوضار الفساد، وإن من أنفع ما ينبغي أن تقف عليه المرأة في هذا الباب البيان الصادر بهذا الخصوص عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في: ٢٥/ ١/ ١٤٢٠هـ، وفيما يلي نصّه:

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه، وبعد:

فمِمَّا لا يخفىٰ علىٰ كلّ مسلم بصير بدينه ما تعيشه المرأة

المسلمة تحت ظلال الإسلام ـ وفي هذه البلاد خصوصًا ـ من كرامة وحشمة وعمل لائق بها، ونيل لحقوقها الشرعية التي أوجبها الله لها، خلافًا لمَا كانت تعيشه في الجاهلية، وتعيشه الآن في بعض المجتمعات المخالفة لآداب الإسلام مِن تسيّب وضياع وظلم.

وَهذه نعمة نشكر الله عليها، ويجب علينا المحافظة عليها، إلاّ أنّ هناك فئات من الناس مِمَّن تَلَوَّثت ثقافتهم بأفكار الغرب، لا يرضيهم هذا الوضع المشرّف الذي تعيشه المرأة في بلادنا؛ من حياء، وستر، وصيانة، ويريدون أن تكون مثل المرأة في البلاد الكافرة والبلاد العلمانية، فصاروا يكتبون في الصحف، ويطالبون باسم المرأة بأشياء تتلخص في:

١ - هتك الحجاب الذي أمرها الله به في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وبقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وبقوله تعالىٰ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ الآية [النور: ٣١]، وقول عائشة رضي الله عنها في قصة تخلّفها عن الركب ومرور صفوان بن معطّل رضي الله عنه عليها وتخميرها لوجهها لَمَّا أحسَّت به قالت: (و كان قد رآني قبل الحجاب)، وقولها: (كنّا مع النبي ﷺ ونحن محرمات، فإذا مر بنا الرجال سَدَلَت إحدانا خمارها علىٰ وجهها، فإذا جاوزونا

كشفناه). إلىٰ غير ذلك، مِمَّا يدلّ علىٰ وجوب الحجاب علىٰ المرأة المسلمة من الكتاب والسنة، ويريد هؤلاء منها أن تخالف كتاب ربها وسنة نبيها، وتصبح سافرة يتَمتّع بالنظر إليها كلّ طامع وكلّ مَن في قلبه مرض.

٢- ويطالبون بأن تمكّن المرأة من قيادة السيارة، رغم ما يترتب علىٰ ذلك من مفاسد، وما يعرضها له من مخاطر، لا تخفىٰ علىٰ ذي بصيرة.

٣ - ويطالبون بتصوير وجه المرأة، ووضع صورتها في بطاقة خاصة بها تتداولها الأيدي، ويطمع فيها كلّ مَن في قلبه مرض، ولا شكّ أنّ ذلك وسيلةٌ إلىٰ كشف الحجاب.

٤- ويطالبون باختلاط المرأة والرجال، وأن تتولّىٰ الأعمال التي هي من اختصاص الرجال، وأن تترك عملَها اللائق بها والمتلائم مع فطرتها وحشمتها، ويزعمون أنّ في اقتصارها علىٰ العمل اللائق بها تعطيلا لها.

ولا شك أنّ ذلك خلاف الواقع، فإنّ توليتها عملا لا يليق بها هو تعطيلها في الحقيقة، وهذا خلاف ما جاءت به الشريعة؛ من منع الاختلاط بين الرجال والنساء، ومنع خلو المرأة بالرجل الذي لا تَحلّ له، ومنع سفر المرأة بدون محرم، لمَا يترتب علىٰ هذه الأمور من المحاذير التي لا تحمد عقباها.

ولقد منع الإسلام من الاختلاط بين الرجال والنساء حتىٰ في مواطن العبادة، فجعل موقف النساء في الصلاة خلف الرجال، ورغّب في صلاة المرأة في بيتها، فقال النبي ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وبيوتهن خير لهن». كلّ ذلك من أجل المحافظة علىٰ كرامة المرأة وإبعادها عن أسباب الفتنة.

فالواجب علىٰ المسلمين أن يحافظوا علىٰ كرامة نسائهم، وأن لا يلتفتوا إلىٰ تلك الدعايات المضللة، وأن يعتبروا بما وصلت إليه المرأة في المجتمعات التي قبلت مثل تلك الدعايات وانخدعت بها، من عواقب وخيمة، فالسعيد مَن وُعظ بغيره، كما يجب علىٰ ولاة الأمور في هذه البلاد أن يأخذوا علىٰ أيدي هؤلاء السفهاء، ويَمنعوا من نشر أفكارهم السيئة؛ حماية للمجتمع من آثارها السيئة وعواقبها الوخيمة، فقد قال النّبيّ ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضرّ علىٰ الرجال من النساء». وقال عليه الصلاة والسلام: «واستوصوا بالنساء خيرا». ومن الخير لهن: المحافظة علىٰ كرامتهن وعفتهن، وإبعادهن عن أسباب الفتنة.

وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبيّنا محمد وآله وصحبه.

ثم ذيَّل بتوقيع أعضاء اللجنة، وهم: سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز:، وسماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ عبدالله

الغديان، والشيخ بكر أبو زيد، والشيخ صالح الفوزان، أحسن الله للجميع، وجزاهم خير الجزاء، ونفع بجهودهم، وبارك في أعمالهم.

وكان تاريخ صدور هذا البيان كما سبق في: ٢٥/ ١/ ١٤٢٠هـ أي قبل وفاة سماحة الشيخ ابن باز بيومين، وفي هذا دلالة علىٰ عظم نصحه وتمام إرشاده إلىٰ آخر أيام حياته:، وهو بمثابة وصية المودِّع من هذا الإمام الناصح، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء، وجعل جنة الفردوس الأعلىٰ مأواه.

وكذلك من الفتاوىٰ الصادرة عن اللجنة العلمية للإفتاء بهذا الشأن، والتي ينبغي علىٰ المرأة المسلمة الناصحة لنفسها تأمّلها والإفادة منها: فتوىٰ صدرت عن اللجنة بتاريخ ٩/ ٣/ ١٤٢١هـ بشأن وضع المرأة العباءة علىٰ الكتف وصفة العباءة الشرعية للمرأة[1].

وفيما يلي نصّها:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده... وبعد: فقد اطّلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء علىٰ ما ورد إلىٰ سماحة المفتي العام من المستفتي... والمحال إلىٰ اللجنة من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٩٣٤) وتاريخ ١٢/ ٢/ ١٤٢١ هـ، وقد سأل المستفتي سؤالا هذا نصه:

(١) «فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٧/ ١٣٩ ـ ١٤١).

(فقد انتشر في الآونة الأخيرة عباءة مفصّلة علىٰ الجسم وضيقة، وتتكون من طبقتين خفيفتين من قماش الكريب، ولها كم واسع، وبها فصوص وتطريز، وهي توضع علىٰ الكتف. فما حكم الشرع في مثل هذه العباءة؟ أفتونا مأجورين، ونرغب -حفظكم الله- بمخاطبة وزارة التجارة لمنع هذه العباءة وأمثالها).

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بأن العباءة الشرعية للمرأة وهي «الجلباب»، هي ما تحقّق فيها قصد الشارع؛ من كمال الستر والبعد عن الفتنة، وبناء علىٰ ذلك فلا بد لعباءة المرأة أن تتوافر فيها الأوصاف الآتية:

أولا: أن تكون سميكة، لا تظهر ما تحتها، ولا يكون لها خاصية الالتصاق.

ثانيا: أن تكون ساترة لجميع الجسم، واسعة لا تبدي تقاطيعه.

ثالثا: أن تكون مفتوحة من الأمام فقط، وتكون فتحة الأكمام ضيقة.

رابعا: ألا يكون فيها زينة تلفت إليها الأنظار، وعليه فلا بد أن تخلو من الرسوم والزخارف والكتابات والعلامات.

خامسا: ألا تكون مشابهة للباس الكافرات أو الرجال.

سادسا: أن توضع العباءة علىٰ هامة الرأس ابتداء.

وعلىٰ ما تقدم: فإن العباءة المذكورة في السؤال ليست عباءة

شرعية للمرأة، فلا يجوز لبسها؛ لعدم توافر الشروط الواجبة فيها، ولا لبس غيرها من العباءات التي لم تتوافر فيها الشروط الواجبة، ولا يجوز كذلك استيرادها، ولا تصنيعها، ولا بيعها وترويجها بين المسلمين؛ لأن ذلك من التعاون علىٰ الإثم والعدوان، والله -جل وعلا- يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

واللجنة إذ تبين ذلك، فإنها توصي نساء المؤمنين بتقوىٰ الله تعالىٰ، والتزام الستر الكامل للجسم بالجلباب، والخمار عن الرجال الأجانب؛ طاعة لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ، وبعدا عن أسباب الفتنة والافتتان.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

ثم ذيّلت بتوقيع أعضاء اللجنة، وهم: فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان، وفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، وفضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

بيان صدر عن اللجنة بتاريخ ٢٥/ ١/ ١٤٢١هـ بشأن لباس المرأة عند محارمها ونسائها[١].

وفيما يلي نصّه:

---

(١) «فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (١٧/ ٢٩٠ ـ ٢٩٤).

(الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسلام علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد كانت نساء المؤمنين في صدر الإسلام قد بلغن الغاية في الطهر والعفة، والحياء والحشمة، ببركة الإيمان بالله ورسوله، واتباع القرآن والسنة، وكانت النساء في ذلك العهد يلبسن الثياب الساترة، ولا يعرف عنهن التكشف والتبذل عند اجتماعهن ببعضهن أو بمحارمهن، وعلىٰ هذه السُّنة القويمة جرىٰ عمل نساء الأمة- ولله الحمد- قرنًا بعد قرن إلىٰ عهد قريب، فدخل في كثير من النساء ما دخل من فساد في اللباس والأخلاق لأسباب عديدة، ليس هذا موضع بسطها.

ونظرا لكثرة الاستفتاءات الواردة إلىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حدود نظر المرأة إلىٰ المرأة، وما يلزمها من اللباس، فإن اللجنة تبين لعموم نساء المسلمين أنه يجب علىٰ المرأة أن تتخلق بخلق الحياء، الذي جعله النبي ﷺ من الإيمان وشعبة من شعبه، ومن الحياء المأمور به شرعًا وعرفًا: تستر المرأة واحتشامها وتخلقها بالأخلاق التي تبعدها عن مواقع الفتنة ومواضع الريبة.

وقد دل ظاهر القرآن علىٰ أن المرأة لا تبدي للمرأة إلا ما تبديه لمحارمها، مما جرت العادة بكشفه في البيت، وحال المهنة

كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ ﴾ الآية، وإذا كان هذا هو نص القرآن وهو ما دلت عليه السنة، فإنه هو الذي جرىٰ عليه عمل نساء الرسول ﷺ، ونساء الصحابة، ومن اتبعهنّ بإحسان من نساء الأمّة إلىٰ عصرنا هذا. وما جرت العادة بكشفه للمذكورين في الآية الكريمة هو: ما يظهر من المرأة غالبا في البيت، وحال المهنة، ويشق عليها التحرز منه؛ كانكشاف الرأس واليدين والعنق والقدمين، وأما التوسع في التكشف فعلاوة علىٰ أنه لم يدل علىٰ جوازه دليل من كتاب أو سنة- هو أيضا طريق لفتنة المرأة والافتتان بها من بنات جنسها، وهذا موجود بينهن، وفيه أيضا قدوة سيئة لغيرهن من النساء، كما أن في ذلك تشبها بالكافرات والبغايا الماجنات في لباسهن، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من تشبه بقوم فهو منهم». أخرجه الإمام أحمد وأبو داود. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ رأىٰ عليه ثوبين معصفرين، فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها». وفي صحيح مسلم -أيضا- أن النبي ﷺ قال: «صنفان من أهل النار أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت

المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». ومعنىٰ: «كاسيات عاريات» هو: أن تكتسي المرأة ما لا يسترها فهي كاسية، وهي في الحقيقة عارية، مثل من تلبس الثوب الرقيق الذي يشف بشرتها، أو الثوب الضيق الذي يبدي تقاطيع جسمها، أو الثوب القصير الذي لا يستر بعض أعضائها.

فالمتعين علىٰ نساء المسلمين: التزام الهدي الذي كان عليه أمهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهن ومن اتبعهن بإحسان من نساء هذه الأمة، والحرص علىٰ التستر والاحتشام، فذلك أبعد عن أسباب الفتنة، وصيانة للنفس عما تثيره دواعي الهوىٰ الموقع في الفواحش.

كما يجب علىٰ نساء المسلمين الحذر من الوقوع فيما حرمه الله ورسوله من الألبسة التي فيها تشبه بالكافرات والعاهرات؛ طاعة لله ورسوله، ورجاء لثواب الله، وخوفا من عقابه.

كما يجب علىٰ كل مسلم أن يتقي الله فيمن تحت ولايته من النساء، فلا يتركهن يلبسن ما حرمه الله ورسوله من الألبسة الخالعة، والكاشفة والفاتنة، وليعلم أنه راع ومسؤول عن رعيته يوم القيامة.

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يهدينا جميعًا سواء

السبيل، إنه سميع قريب مجيب، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

ثم ذيّل بتوقيع أعضاء اللجنة وهم: فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن محمد آل الشيخ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان، وفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، وفضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

بيان من اللجنة بشأن المجلات الخليعة ومخاطرها[1]، وفيما يلي نصّه:

(الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه، وبعد: فقد أصيب المسلمون في هذا العصر بمحن عظيمة، وأحاطت بهم الفتن من كل جانب، ووقع كثير من المسلمين فيها، وظهرت المنكرات، واستعلن الناس بالمعاصي بلا خوف ولا حياء، وسبب ذلك كله: التهاون بدين الله، وعدم تعظيم حدوده وشريعته، وغفلة كثير من المصلحين عن القيام بشرع الله، والأمر المعروف والنهي عن المنكر، وإنه لا خلاص للمسلمين، ولا نجاة لهم من هذه المصائب والفتن إلا بالتوبة الصادقة إلىٰ الله تعالىٰ، وتعظيم أوامره ونواهيه، والأخذ علىٰ أيدي السفهاء، وأطرهم علىٰ الحق أطرا.

(١) «فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (١٧/ ١١٧ ـ ١٢٣).

وإن من أعظم الفتن التي ظهرت في عصرنا هذا ما يقوم به تجار الفساد، وسماسرة الرذيلة، ومحبو إشاعة الفاحشة في المؤمنين: من إصدار مجلات خبيثة تحاد الله ورسوله في أمره ونهيه، فتحمل بين صفحاتها أنواعا من الصور العارية، والوجوه الفاتنة المثيرة للشهوات، الجالبة للفساد، وقد ثبت بالاستقراء: أن هذه المجلات مشتملة علىٰ أساليب عديدة في الدعاية إلىٰ الفسوق والفجور، وإثارة الشهوات، وتفريغها فيما حرمه الله ورسوله، ومن ذلك أن فيها:

١- الصور الفاتنة علىٰ أغلفة تلك المجلات وفي باطنها.

٢- النساء في كامل زينتهن يحملن الفتنة ويغرين بها.

٣- الأقوال الساقطة الماجنة، والكلمات المنظومة والمنثورة، البعيدة عن الحياء والفضيلة الهادمة للأخلاق المفسدة للأمة.

٤- القصص الغرامية المخزية، وأخبار الممثلين والممثلات، والراقصين والراقصات، من الفاسقين والفاسقات.

٥- في هذه المجلات الدعوة الصريحة إلىٰ التبرج والسفور، واختلاط الجنسين، وتمزيق الحجاب.

٦- عرض الألبسة الفاتنة الكاسية العارية علىٰ نساء المؤمنين؛ لإغرائهن بالعري والخلاعة، والتشبه بالبغايا والفاجرات.

٧- في هذه المجلات العناق والضم والقبلات بين الرجال

والنساء.

٨- في هذه المجلات المقالات الملتهبة، التي تثير موات الغريزة الجنسية في نفوس الشباب والشابات، فتدفعهم بقوة ليسلكوا طريق الغواية والانحراف، والوقوع في الفواحش والآثام والعشق والغرام. فكم شغف بهذه المجلات السامة من شباب وشابات، فهلكوا بسببها، وخرجوا عن حدود الفطرة والدين. ولقد غيرت هذه المجلات في أذهان كثير من الناس كثيرا من أحكام الشريعة، ومبادئ الفطرة السليمة بسبب ما تبثه من مقالات ومطارحات. واستمرأ كثير من الناس المعاصي والفواحش، وتعدىٰ حدود الله بسبب الركون إلىٰ هذه المجلات، واستيلائها علىٰ عقولهم وأفكارهم.

والحاصل: أن هذه المجلات قوامها التجارة بجسد المرأة، التي أسعفها الشيطان بجميع أسباب الإغراء ووسائل الفتنة؛ للوصول إلىٰ نشر الإباحية، وهتك الحرمات، وإفساد نساء المؤمنين، وتحويل المجتمعات الإسلامية إلىٰ قطعان بهيمية، لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا، ولا تقيم لشرع الله المطهر وزنا، ولا ترفع به رأسا، كما هو الحال في كثير من المجتمعات، بل وصل الأمر ببعضها إلىٰ التمتع بالجنسين عن طريق العري الكامل فيما يسمونه: (مدن العراة) عياذا بالله من انتكاس الفطرة، والوقوع

فيما حرمه الله ورسوله.

هذا وإنه بناء علىٰ ما تقدم ذكره من واقع هذه المجلات، ومعرفة آثارها وأهدافها السيئة، وكثرة ما يرد إلىٰ اللجنة من تذمر الغيورين من العلماء وطلبة العلم، وعامة المسلمين من انتشار عرض هذه المجلات في المكتبات والبقالات والأسواق التجارية- فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ترىٰ ما يلي:

أولا: يحرم إصدار مثل هذه المجلات الهابطة، سواء كانت مجلات عامة، أو خاصة بالأزياء النسائية، ومن فعل ذلك فله نصيب من قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ الآية.

ثانيا: يحرم العمل في هذه المجلات علىٰ أي وجه كان، سواء كان العمل في إدارتها، أو تحريرها، أو طباعتها، أو توزيعها؛ لأن ذلك من الإعانة علىٰ الإثم والباطل والفساد، والله -جل وعلا- يقول: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾.

ثالثا: تحرم الدعاية لهذه المجلات وترويجها بأية وسيلة؛ لأن ذلك من الدلالة علىٰ الشر والدعوة إليه، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا». أخرجه مسلم في صحيحه.

رابعا: يحرم بيع هذه المجلات، والكسب الحاصل من ورائها

كسب حرام، ومن وقع في شيء من ذلك وجب عليه التوبة إلىٰ الله تعالىٰ، والتخلص من هذا الكسب الخبيث.

خامسا: يحرم علىٰ المسلم شراء هذه المجلات واقتناؤها؛ لما فيها من الفتنة والمنكرات، كما إن في شرائها تقوية لنفوذ أصحاب هذه المجلات، ورفعا لرصيدهم المالي، وتشجيعا لهم علىٰ الإنتاج والترويج، وعلىٰ المسلم أيضا أن يحذر من تمكين أهل بيته -ذكورا وإناثا- من هذه المجلات؛ حفظا لهم من الفتنة والافتتان بها، وليعلم المسلم أنه راع ومسئول عن رعيته يوم القيامة.

سادسا: علىٰ المسلم أن يغض بصره عن النظر في تلك المجلات الفاسدة؛ طاعة لله ولرسوله ﷺ، وبعدا عن الفتنة ومواقعها، وعلىٰ الإنسان ألا يدعي العصمة لنفسه، فقد أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، وقال الإمام أحمد -رحمه الله تعالىٰ-: كم نظرة ألقت في قلب صاحبها البلاء، فمن تعلق بما في تلك المجلات من صور وغيرها أفسدت عليه قلبه وحياته، وصرفته إلىٰ ما لا ينفعه في دنياه وآخرته؛ لأن صلاح القلب وحياته إنما هو في التعلق بالله جل جلاله، وعبادته وحلاوة مناجاته، والإخلاص له، وامتلاؤه بحبه سبحانه.

سابعا: يجب علىٰ من ولاه الله علىٰ أي من بلاد الإسلام أن ينصح للمسلمين، وأن يجنبهم الفساد وأهله، ويباعدهم عن كل

ما يضرهم في دينهم ودنياهم، ومن ذلك منع هذه المجلات المفسدة من النشر والتوزيع، وكف شرها عنهم، وهذا من نصر الله ودينه، ومن أسباب الفلاح والنجاح والتمكين في الأرض، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

ثم ذيّل بتوقيع أعضاء اللجنة وهم: فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن محمد آل الشيخ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان، وفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، وفضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

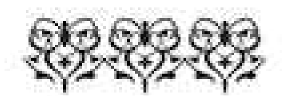
وبهذا نختم هذه الرسالة، ونسأل الله جلّ وعلا أن يُصلح بنات المسلمين ونساءهم، وأن يُجنِّبهنّ الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.





فهرس الموضوعات





الرسالة الثانية :

موعظة النساء

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر



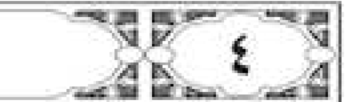
الحمد لله الذي منّ علينا بالقرآن، وهدانا للإيمان، وشرح صدورَنا للإسلام، وجعلنا من أمَّة مُحمَّدٍ ﷺ خيرِ الأنام، وأشهد أن لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له المَلك العلّام، وأشهد أنّ محمَّدًا عبدُهُ ورسوله، وصَفيّه وخليله خيرُ الأنام، صلّىٰ الله وسلّم عليه وعلىٰ آله وصحبه الكرام.

أمَّا بعد؛ فهٰذه رسالةٌ حَوَت جملةً من النّصائح والتّوجيهات تَخصّ المرأةَ المسلمةَ، وأصل كثيرٍ منها خطبٌ ألقيتها في أوقاتٍ متفاوتةٍ، أشار بعضُ الأفاضل أن تطبَعَ مجتمعةً؛ رجاءَ أن ينفَع الله بها.

وقَد كان من هَدْيِ نبيِّنَا الكريم ﷺ: تخصيصُ النِّساء بالوعظ والتّذكير، كما في «البخاري»[١] عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: «خَرَجَ رسُول الله ﷺ، فصلّىٰ، ثمَّ خطبَ، ثمَّ أتَىٰ النِّساءَ، فوعظَهنّ، وذكّرهُنّ، وأمرهُنّ بالصَّدقة». قال الحافظ ابن حجر: «وفي هذا الحديث من الفوائد: استحبابُ وعظ النِّساء، وتعليمهنّ أحكامَ

---

(١) برقم (٥٢٤٩).



الإسلام، وتذكيرهنّ بما يجبُ عليهنّ»[١].

وقد سَمَّيْت هَذه الوَصَايا وَالنّصائح: «**موعظة النِّساء**».

والله المرجوّ وحدَه أن يوفّق نساءَ المسلمين وبناتِهِم لكلّ خيرٍ وصلاحٍ وعزٍّ ورفعةٍ، وأن يجنِّبهنّ مُضِلّاتِ الفتنَ ما ظهر منها وما بطن، إنَّه سميعٌ مجيبٌ، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت، وإليه أنيب، ولا حول ولا قوَّةَ إلّا بالله العليِّ العظيم، وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ نبيِّنا مُحمَّد وآله وصحبه.

(١) «فتح الباري» (٢/ ٤٦٨).

أصول عظيمة

يا أيَّتها المُوفَّقة: طيَّب اللهُ حياتَك بالعلم والإيمان، وطيَّب أوقاتكِ بالطّاعة والإحسان، وطيَّب بدَنَك بالسِّتر والاحتشام؛ هٰذه وصيَّةٌ أهديها لكِ راجيًا من الله ﷻ أن ينفعَكِ بها، ولا سيَّما أنّكِ في موضع أنتِ فيه قدوةٌ في الخير والاستقامة والطّاعة لله تبارك وتعالىٰ.

عليكِ أن تستَشعري ـ أيَّتها الفاضلة ـ أنّ نعمةَ الله ﷻ عليك بهٰذا الدِّين عظيمةٌ ومنّته عليكِ بالهداية إليه كبيرةٌ؛ فهو الدِّين الّذي ارتَضاه لعبادِه وكمَّله لهم ولا يقبل جلّ وعلا منهُم دينًا سواه، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، نَعَمْ، إنّه الدِّين الّذي أصلحَ الله به العقائد والأخلاق، وأصلح به الحياةَ الدّنيا والآخرة، وزيَّن به ظاهرَ المرءِ وباطنَه، وخلّصَ به مَن اعتنَقه وتمسَّكَ به من براثن الباطل ومهاوي الرّذيلة ومُنزَلَقات الانحراف والضَّلال، إنّه الدِّين العظيمُ المبارَك المثمرُ للخَيرات المبارَكات والثّمار النّافعات الّتي تعود علىٰ المستَمسك به في دنياه وأخراه.

ولا بدّ في هذا المقام ـ أيّتها الأخت الفاضلة ـ من تذكّر واستحضار جملةٍ من الأصول العظيمة، تعِين متأمِّلَها علىٰ لزوم هدَايات الدِّين وتوجيهاتِه العظيمَة، وتلقّيها بالقَبول وانشراح الصَّدْر والرِّضا، وتنير للمرأة المسلمةِ طريقَها، وتسدِّدُ لها بإذن الله تبارك وتعَالىٰ مسارَها إن وُفّقت للعِلم بها والأخذ بها، ولعلّي أنبِّه علىٰ أهمِّ هذه الأصول وأعظمها، راجيًا منَ الله ﷻ أن ينفعكِ بها.

* **أوَّلًا**: عليكِ أن تعلَمي علمَ اليقين أنّ أحسنَ الأحكام وأقوَمها وأكملَها وأجملَها؛ أحكامُ ربِّ العالمين، وخالقِ الخلق أجمعين، تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [سورة المائدة]، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [سورة التين]، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [سورة الأعراف]، فإذا أيقَنَت المسلمة بذلكَ؛ لم تتردّد في قَبول أيِّ حُكم يبلغُها ممَّا حكَمَ وأمَر به اللهُ جلّ وعلا.

* **الأمر الثّاني**: عليكِ أن تدْرِكِي أنّ سعادتَكِ وكرامتَكِ مرتبطةٌ تمامَ الارتباط بهٰذا الدِّين، وبالطّاعة لربِّ العالمين، والتزام أحكامه وشرعِهِ، وأنّ حظّكِ ونصيبَكِ من السَّعادة بحَسب حظّكِ ونصيبكِ منَ الطّاعة والالتزام، وقَد قال الله تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ [سورة النساء]، وقال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [سورة الشمس]، والآيات في هٰذا المعنىٰ كثيرة.

* **الأمر الثّالث:** عليك التّنبّه ـ وفّقكِ الله ـ إلىٰ أنّ المسلمةَ لها في هٰذه الحياة أعداءٌ كثر يسْعَون للإطاحة بكرامَتها، وخَلْخَلة سبيلَ عزِّها وفلاحِها وسعادتِها وإيقاعِها في حمأة الرّذيلة والفَساد، ويقدِّمون في سبيل ذلك كلّ ما يستَطيعون، ويأتي في مُقدِّمَة هؤلاء الأعداء الشّيطان عدوّ الله وعدوّ الدِّين وعدوّ عباده المؤمنين، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [سورة فاطر]، فالواجبُ الحذَر كلّ الحذَر من هؤلاء الأعداء الذين غايتهم وأكبَرُ مُنيَتِهم أن تَتحلّل المرأة المسلمة من أخلاقِها وآدابِ دينِها، وأسباب عزِّها وفلاحِها في الدّنيا والآخرة.

* **الأمر الرّابع:** عليكِ ـ أيّتها المُوفّقة ـ أن تؤْمني إيمانًا جازمًا أنّ التّوفيق والصَّلاح والاستقامة وتحقّق الخير والبركة والكَرامة بيدِ الله جلّ وعلا، فهو الّذي بيده أزِمَّة الأمور ومقَاليد السَّمٰوات والأرض؛ فمَن أعزّه الله فهُو العَزيز، ومَنْ أذلّهُ الله تباركَ وتعالىٰ فهو المُهان، وقَد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحج]؛ ولهٰذا عليكِ في هٰذا المقام أن تقوِّي صِلتَكِ بالله، وأن تلجئي إلىٰ الله ﷻ دومًا وأبدًا، سائلةً الهداية والتّوفيقَ والثّباتَ علىٰ الدِّين، وأن يسلّمَكِ منَ الفتَن، وأن يُصلح لكِ دينَكِ، وَأن يعيذَكِ من الشّرور، وَأن يجنِّبكِ مَواطنَ الرَّيب وَالفَساد، ومَن أقبل عَلىٰ الله بصدقٍ وَدعاه ورجاه؛ حقّق الله ﷻ له

مُرَادَه، وَيسَّر له مُبتَغاه، وَمِن عَظيم الدّعَاء: «اللّهُمَّ أَصْلحْ لي دِيني الّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلحْ لي دُنْيَايَ الّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلحْ لي آخِرَتِي الّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَل الحَيَاةَ زِيَادَةً لي فِي كلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ المَوْتَ رَاحَةً لي منْ كلِّ شَرٍّ»(١).

* **الأمر الخامس**: أن يَكون أكبرُ اهتمامكِ ـ أيّتها المُوَفّقة ـ في هٰذه الحياة أن تحظَيْ بنَيْل الكرَامَة عند الله، وأن تفوزي بالسَّعَادة برضا الله ﷻ، وأن تسْعَدي بما أعدّه الله ﷻ لعباده المُكْرَمين، الّذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾ [المعارج]؛ فتلك هي الكرامة الحقيقيَّة، وقَد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣]، وفي «الصَّحيح» عن أبي هُريرة ﷺ قال: «قيل للنّبيِّ ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النّاسِ؟ قال: «أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ»»(٢). فمَن ابتغىٰ الكرامةَ من غير هٰذا السَّبيل؛ فإنّما يركضُ في سَرابٍ، ويسعَىٰ في سبيل خيبةٍ وخسرانٍ وتَبَاب.

* **الأمر السَّادس**: عليكِ أن تعلَمي ـ أيّتها المُوفّقة ـ أنّ أحكامَ الشّرع المُتعلّقَةَ بالمرأة شأنُها كشأن أحكام الدِّين كلّها؛ مُحكَمةٌ غايةَ الإحكام، مُتقَنَةٌ غايةَ الإتقان، لا نقصَ فيها ولا خَلَل، ولا ظلْمَ فيها ولا زَلَل، كيف لا! وهي أحكامُ خيرِ الحاكمين، وتنزيل

(١) أخرجه مسلم (٧٠٧٨).
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٤).

ربِّ العالمين، الحكيمُ في تدبيره، البصيرُ بعباده، العليمُ بما فيه سعادتهم وفلاحُهم وصلاحُهم في الدّنيا والآخرة؛ ولهذا فإنّ من أعظم العُدوان وأشدِّ الإثم والهوانِ؛ أن يُقَال في شيءٍ من أحكام الله المُتَعلّقَة بالمرأة أو غيرها: إنّ فيها ظلمًا أو هَضْمًا أو إجْحَافًا أو زَلَلًا، ومَن قال ذلكَ أو شيئًا منه فما قدَرَ ربَّه حقّ قَدْره، ولا وقّره ﷻ حقّ توقِيره، والله جلَّ وعلا يقول: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة نوح] أي: لا تعاملونه معاملةَ مَنْ توَقّرونه، والتّوقير: التّعظيم؛ ومنْ توقيره سبحانَه: أن تلتزِمَ أحكامُه، وتطاعَ أوامرُه، ويُعتَقدَ أنّ فيها السَّلامةَ والكمالَ والرِّفعةَ، ومَنِ اعتقَد فيها خلافَ ذلكَ؛ فما أبْعَدَهُ عن الوقار! وما أجْدَرَهُ في الدّنيا والآخرة بالخِزي والعَار! فلنتّقِ الله، ولنُعَظّم أحكامَ الله ﷻ، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الحج].

هذه بعضُ التّأصيلات المُهمَّة والضَّوابط العَظيمة والأسُس المتينَة الّتي نحتَاج أن نتَذكّرها دائمًا؛ لتَلينَ قلوبُنا، وترتاضَ نفوسُنا، ولنَقبَل أحكامَ الله ﷻ كلّها بانشراح صدرٍ وطمأنينَة نفسٍ وإقبالٍ علىٰ أحكامه ـ جلّ في عُلاه ـ الّتي هي سبَب السَّعادَة وسبيل الفلاح في الدّنيا والآخرة.

ثمَّ ـ أيّتها المُوَفّقة ـ عندما جاءَ دينُ الإسلام بتلك الأحكام المُخْتَصَّة بالمرأة؛ كالحجاب، والحشمَة، والقَرار في البيوت،

والحذَر منَ الاختلاط إلىٰ غير ذلك ـ ممَّا سيأتي الإشارة إليه ـ جاءَ بها صيانةً للمرأة، وحفظًا لها، ووقايةً لشَرفها ومكانَتها، وحمايةً لها منَ الشَّرِّ والفسَاد، ولتكْسَىٰ بتلكَ الضَّوابط حُلَل الطّهر والعفَاف، فالمرأة في ميزان الإسلام دُرّةٌ ثمينةٌ وجوهرةٌ كريمةٌ، تصان من كلّ أذًىٰ، وتحمىٰ من كلّ رذيلةٍ؛ فما أعظمَ أحكامَ ديننا، وما أجلّ شأنَها، وما أعظمَ بركَتَها، وما أحسنَ عوائدَها لمن وفّقه الله ﷻ للالتزام بها؛ وأمَّا مَن تخلّىٰ عن ضوابط الدِّين وتوجيهاته الحكيمَة، زعمًا منه أنّها تعوِّق عن المصالح، أو أنّه يترتّب عليها مفاسد أو أضرارٌ، أو أنّها جنايةٌ علىٰ المرأة، إلىٰ غير ذلك ممَّا يُقال، فهٰذا كلّه منَ التّجنّي العَظيم، والقَول علىٰ الله وعلىٰ كلامه وعلىٰ وحيِه وحُكْمه بغَير علم، ومن أعظم المحرّمات وأكبَر الآثام؛ القَول علىٰ الله ﷻ بلا علم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأعراف].

أيَّتها الأخت المُوفّقة: عندَما تقرئين آيةً من كتاب الله وحديثا عن رسُول الله ﷺ، مشتَملًا علىٰ توجيهٍ يختصّ بالمرأة، فاسمَعي الآيةَ بتدبّر وطمأنينَة وتقبّل وانشراح صَدر؛ لأنَّ الكلامَ الّذي تسمَعينَه هو كلامُ مَن خلقَكِ ﷻ وأوجَدَك وأمدّك بالسَّمع والبَصر والحواسّ والقوىٰ والنّعم، والفَرق بينَ كلامه وكلام خلقِه كالفَرق بينَه وبينَ خلقِه ﷻ؛ فإيَّاكِ ثمَّ إيَّاكِ أن يكونَ في صدرِكِ وحشةٌ أو نُفْرةٌ

أو انقباضٌ من توجيهات ربِّ العالمين. وهكذا الشّأن في الأحاديث الصَّحيحة الثّابتة عن رسول الله ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء]، والعمل بأحاديثه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ عمل بالقرآن؛ لأنّ الله جلّ وعلا قال في القرآن: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

رویٰ البخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ، والمُوتَشِمَاتِ، والمُتَنَمِّصَاتِ، والمُتَفَلِّجَاتِ للحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ الله**». فبلغ ذلك امرأةً منْ بني أَسَدٍ يُقال لها: أُمُّ يَعْقوبَ، فَجاءتْ، فقالت: إنّه بلغَني عنك أنّكَ لَعنتَ كيتَ وكَيت؟ فقال: وما لي لا ألعَنُ مَن لعَن رسول الله ﷺ ومَن هُو في كتاب الله؟! فقالت: لقَد قرأت ما بينَ اللّوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئِن كنتِ قَرَأتِيه لقد وَجدتِّيه، أما قرأتِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾؟ قالت: بلىٰ، قال: فإنّه قد نهىٰ عنه»[1].

وقد قال الله لأمّهات المؤمنين: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]؛ والحكمة: هي السُّنّة المأثورة عن النّبيِّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦).

أيَّتها الأخت الكريمة الفاضلة: إنّ سعادَتكِ مُرتبِطةٌ بهذا الدِّين، وبالتزام توجيهاتِه الحكيمة وآدابه الكريمة وإرشاداته السَّديدة، الّتي هي عِزّ المرأة وفلاحها، وإن كنتِ تبحثينَ عن الجمال الحقيقي والزِّينة التّامَّة، فاعلَمي أنّ الله ﷻ يقول: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، ويقول جلّ وعلا: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧]، وفي الدّعاء المأثور: «**اللّهُمَّ زَيِّنّا بِزِينَةِ الإيمَانِ**»[1]. فالإيمان والتّقوىٰ والالتزامُ بشرع الله ﷻ وأحكامه وتوجيهاتِه هو الزِّينَة الحقيقيَّة، وهو الجمال الحقيقيّ، وهو السَّعادة الحقيقيَّة، وهو فلاحُ المرءِ في دنياه وأخراه.

❀❀❀

(١) أخرجه النسائي (١٣٠٥)، من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

هدايات القرآن للمرأة المسلمة

إنّ القرآنَ الكريم كتابُ الله جلّ وعلا المنزّل للنّاس هدايةً ورحمةً هو كتاب السَّعادة الحقيقيَّة والفَلاح في الدّنيا والآخرة، كتابٌ فيه هداية الأنام وشفَاء الأسقَام وسعادة الدّنيا والآخرة، ومَن طلب السَّعادةَ من غَير طريقِه شَقِيَ، ومَنْ طَلب العزّ من غير هُداه ذلّ، ومَنْ طلب الكرامةَ من غَيْر سبيله أهِين ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ].

جعله الله نورًا للعباد وبصيرةً لهم، يهديهم إلىٰ سعادة الدّنيا والآخرة وإلىٰ صراط الله المستَقيم وسبيله القَويم، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ].

وهذه وقفة مع بعض هدايات القرآن المختصَّة بالمرأة المسلمة؛ والّتي إذا أخذت بها المرأة واستَمسكت بها؛ سعِدت في دنياها وأخراها، وتحقّقَ لها عزّها وفلاحُها، وإن تركَتْها وتخلّت عنهَا؛ هلكَت، وأهلَكَت، وهي آدابٌ عظيمةٌ، ليست محلًّا

للجدل، ولا مجالًا للنِّقاش، أو الرّدِّ وعدَم القَبول - عِياذًا بالله -، ومَن تعْرَض عليه آيات القرآن وهدايات كلام الرّحمن، ثمَّ يتوقّف في قَبولها، أو يتردّد في الاستجابَة لها؛ فَما هٰذا بسبيل المؤمنين.

وعلىٰ المرأة المسلمَة أن تعلَمَ - وهي تقرأ هدايات القرآن، وتتأمّل في كلام الرّحمن - أنّ سعادتَها لا تكون إلّا بلزوم هديِ الله والسَّير في صراطه المستَقيم.

❖ فمن أعظم هداياتِ القرآن للمرأة وأجلّها: أمرُ المرأة بالعناية بعبادَة الله، وأن يكونَ ذلك أعظم مطلوبٍ لها وأجلّ مقصود، ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحزاب].

❖ ومن هِدايات القرآن للمرأة: أمرُها بالحجاب، ولزومه، والمحافظة علىٰ السِّتر والحِشمَة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأحزاب].

❖ وأن تحذَر من التّبرّج والسُّفور فِعلَ أهل الجاهليَّة الجهلاء؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

❖ ومن هدايات القرآن للمرأة: ألّا تجلس مع الرِّجال مجلسًا واحدًا، ولا أن تجتَمع وإيَّاهم في منتدًىٰ واحدٍ، يتلاقَوْن

ويتحادَثون ويتَحاوَرُون، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

❖ ومن هدايات القرآن للمرأة: أنّها إذا اضطرّت إلىٰ الحديثِ مع رجل وأحوَجَها الأمر إلىٰ ذلكَ ألّا تخضَع بالقَول؛ لئلّا يكون خضُوعُها به سببًا لطمع مَن في قلبه مرضٌ من الرِّجال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الأحزاب].

❖ ومن هدايات القرآن للمرأة: أن تلزَمَ بيتها، وألّا يكونَ خروجُها منه إلّا لحاجة تدعُوها لذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وكلّما كانت المرأة المسلمة ملازمةً لبيتها مُقَلِّلَةً من الخروج إلّا عن حاجة؛ كانَ ذلكم أقربَ لها من ربِّها ونَيْل رحمتِه. روىٰ ابن حبّان في «صحيحه»[1] من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النّبيَّ ﷺ قال: **«المَرْأة عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشّيْطَانُ، وأَقْرَبُ مَا تَكونُ منْ رَبِّهَا إِذَا هِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا»**.

❖ ومن هدايات القرآن للمرأة: أن تحذر عند اضطرارها للخروج من لفت أنظار الرِّجال إليها، واجتذابهم للنّظر إلىٰ محاسنها بأيِّ وسيلة وبأيِّ طريقة: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

---

(١) برقم (٥٥٩٩).

❖ ومن هدايات القرآن للمرأة: أن تَغُضَّ بصرَها، وأن تحفظ فَرْجَها، وأن تَصُونَ عِرضَها، وأن تحافظ علىٰ شرفها وكرامتها: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

❖ ومن هدايات القرآن للمرأة المسلمَة: ألّا تتطلّع لشيء من خصائص الرِّجال وصفاتِهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤].

❖ وقد أثنىٰ الله في القرآن علىٰ حياءِ المرأة العَظيم، وما يترتّب عليه من سترٍ وعِفّةٍ وحشمةٍ وبُعدٍ عن الاختلاط بالرِّجال، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ إلىٰ قوله جلّ شأنُه: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٣ - ٢٥]، وكلّما كانت المرأة مُتّصِفَةً بالحياء مُتَحلّيَةً به؛ كان ذلكم أكملَ في أخلاقها وأجملَ في حِليَتِها وزِينَتِها، بينما إذا نزعَت المرأة عن نفسِها جلبابَ الحياء، وأطاحَت بلباس الحشمَة والعِفّة؛ فَقَدَت جمالها الحقيقيّ ومكانتَها العالية الرّفيعة السَّنيَّة، وهَوَت إلىٰ الحضيض.

❖ ومن هذه الهدايات: فيما يتعلّق بالتّقرّب إلىٰ الله ونَيْل رضَاه وبلوغ الدّرجات العُلا في جنّات النّعيم: جَعْل الباب للرِّجال والنِّساء متساويًا؛ في الإسلام والإيمان، والقنوت والصِّدق، والصَّبر والصِّيام، والخشوع لله والإكثار من ذكره تبارك وتعالىٰ، فالبابُ مُشرَعٌ وميدان التنافس مُهيَّأ للجميع رجالًا ونساءً ذكورًا وإناثا، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الأحزاب].

إنّ توجيهات القرآن للمرأة وهداياته؛ فيها العزّ للمرأة ولمجتَمعها، وفيها الفَلاح والسَّعادة في الدّنيا والآخرة، والواجبُ علىٰ المرأة المسلمة الّتي مَنّ الله عليها بالإيمان، وهدَاها للإسلام وعرّفها بمكانَة القرآن، وجعلها من أمّة مُحمَّد ﷺ خير الأنام؛ أن ترعىٰ لآداب القرآن وتوجيهاته وهداياته قَدرها، وأن تعرفَ لها مكانتَها، وأن تأخذ بها مأخَذَ العَزم والحَزم وَالجدِّ والاجتهاد، وأن تَرْبأ بنفسِها عمَّا يدعُوها إليه الهمَل منَ النّاس؛ ممَّن تاهَت بهم

الأفكار، وانحرفَت بهم السُّبل، وحادوا عن هدايات القرآن الكريم، فالمرأة المسلمة الّتي تخشىٰ اللهَ وتخافه سبحانه، وتعِدّ نفسَها للقَاء الله، لا تلتَفت إلىٰ ما يدعُو إليه الهمَل من النّاس، ممَّن إذا تكلّموا لم يتكلّموا بوحيٍ ناطقٍ، ولا بسُنّةٍ مأثورةٍ، ولا بفضيلةٍ يُتطَلّع إلىٰ فعلها، ويُعتَنىٰ بتتميمها وتحقيقها، وعليها في هٰذا المقام أن تتأمَّل كثيرًا في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

❁❁❁

فتنة النساء، وضرر الاختلاط

إنّ الدِّينَ الإسلاميَّ الحنيف بتوجيهاته السَّديدَة وإرشاداتِه الحميدَة صانَ المرأةَ المسلمةَ، وحفظَ لها شَرَفَها وكرامَتَها، وتكفّل لها بعزِّها وسعادتِها، وهيّأ لها أسبابَ العيش الهَنِيءِ بعيدًا عن مواطن الرِّيَبِ والفتَن والشّرِّ والفسَاد.

وهٰذا كلّه من رحمةِ الله جلّ وعلا بعبادِه، حيث أنزل لهم شريعتَه ناصحةً لهم، ومُصلحةً لفسادِهم، ومقوِّمةً لاعوجاجِهم، ومتكفّلةً بسعادتِهم؛ ومن ذلك: ما شَرَعَهُ اللهُ تبارك وتعالىٰ من التّدابير العظيمة والإجراءات القَويمة الّتي تقطع دابِرَ الفتنة بين الرِّجال والنِّساء، وتعِينُ علىٰ اجتناب الموبقات، والبُعد عن الفَواحش المُهلكات، رحمةً منه بهم، وصيانةً لأعراضهم، وحمايةً لهم من خزي الدّنيا وعذاب الآخرة.

والمرأة المسلمة تعيشُ في كَنَف الإسلام وفي ضوءِ توجيهاته وآدابِه العِظام عَيشةً هنيئَةً، ملؤُها السَّعادة والعِزّ والطّمأنينة والرِّفعة في الدّنيا والآخرة، شعارُها: السِّتر والعفَاف، ودِثارُها: الطّهر والزّكاء، ورايتها: إشاعة الأدَب وتثبيت الأخلاق، وغايتها: صيانة الشّرف وحماية الفَضيلة، وستبقَىٰ المرأة المسلمَة رفيعةَ الجانب

عزيزةَ المنال صينّةَ الأخلاق؛ ما دامَت متمسّكةً بدينِها محافظةً علىٰ أوامر ربِّها مطيعةً لنبيِّها رسول الله ﷺ، مُسْلمةً وجْهَها لله مُذعِنَةً لشرعِه وحُكمه، قائمةً بحقوق الإسلام وواجباته وآدابه العِظام بكلّ راحةٍ وثِقَةٍ واطمئنانٍ، غير مُلتَفِتَةٍ إلىٰ الهَمَل من النّاس من دُعاة الفاحشَة والفتنَة؛ لتنالَ بذلكَ السَّعادةَ والرّاحةَ في الدّنيا والآخرة، وتنال الثّوابَ العظيمَ والأجر الجزيلَ يومَ لقاءِ الله تبارك وتعالىٰ.

وقَد جاء في الإسلام ما يدلّ علىٰ أنّ الفتنةَ بالنِّساء إذا وقعَت يَتَرتّبُ عليها من المفاسد والمضارِّ ما لا يُدرَك مَدَاه ولا تحمَد عُقْباه، ولهٰذا خافَها النّبيّ ﷺ علىٰ أمّته خوفًا عظيمًا، وحذّر - صلوات الله وسلامه عليه - كثيرًا من مغبَّتِها وسوء عاقبتها، نصحًا للأمّة، ومعذرةً في بيان دين الله تبارك وتعالىٰ، ولقَد كان - عليه الصَّلاة والسَّلام - معلّمًا أمينًا وناصحًا مُشْفقًا، فما ترك خيرًا إلّا دلّ الأمّةَ عليه، ولا شرًّا إلّا حذَّرها منه.

روىٰ البخاريّ ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا تَرَكْت بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرّ عَلَىٰ الرِّجَال منَ النِّسَاءِ»**[(١)]. وروىٰ مسلم في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: **«اتّقوا الدّنْيَا، وَاتّقوا النِّسَاءَ؛ فَإِنّ**

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»[1].

والأحاديث عن نبيِّنا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كثيرةٌ جدًا في هذا الباب العظيم؛ صيانةً للمجتمع والأمَّة، ومحافظةً علىٰ المرأة ورعايةً لها. وهٰذه الأحاديث وغيرها ممَّا جاء عن رسول الله ﷺ تعدّ بحقٍّ صِمَام أمان للمَرأة ولبَيْتها ولمجتَمعِها بأسْرِه من أن تَحُلّ به الرّذيلة أو أن يَنْتَشِرَ فيه الشّرّ والفسَاد، فإنّ المرأة متىٰ تمسَّكت بتعاليم الإسلام؛ سعدت في الدّنيا والآخرة، وساعدت في بناء مجتَمع قويٍّ متماسكٍ نزيهٍ مليءٍ بالطّهر والعفَاف، وإن تخلّت عن هذه التّعاليم؛ تردّت في مهاوي الرّذيلة، وسقَطت في حَمْأة الفسَاد، وفقَدت كرامتَها ومكانتَها ومنزلتَها الرّفيعَة، فإنّها إن تلوَّثَتْ بالرّذيلة؛ جَلَبَت العار والشّنار لنفسِها وأهلها وقرابتِها، ونكّسَت رؤوسَهم، وحطّت من أقدارهم بين النّاس، وإنْ حَمَلَت من ذلكَ فقتَلت وَلدَهَا؛ جَمعَت بَين القَتل وَالزّنا، وإن أدخلَتْه علىٰ زَوجِهَا أو أهلها؛ أدخَلَت عليهم أجنبيًّا ليس منهم، يخلو بهم، ويَرثهم، ويُنْسَبُ إليهم، وليسَ منهم، إلىٰ غير ذلكَ منَ المفاسد.

ومَن يتأمَّل التّاريخَ علىٰ طول مَدَاه يجد أنّ من أكبَر أسباب انهيَار الحضارات، وتفكّك المجتَمعات، وتحلّل الأخلاق، وفسَاد

---

(١) برقم (٢٧٤٢).

القِيَم، وفشوِّ الجريمة؛ هو تبرّج المرأة، ومخالطتها للرِّجال، ومبالغتها في الزِّينة والاختِلاط، وخَلوتها مع الأجانب، وارتيادُها للمُنتَديات والمجالس العامَّة وهي في أتمِّ زينة وأبهىٰ تجمُّل. قال العلّامة ابن القيِّم رحمه الله: «ولا ريبَ أنّ تمكينَ النِّساء من اختلاطهنّ بالرِّجال أصل كلّ بليَّةٍ وشرٍّ، وهُو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامَّة، كما أنّه من أعظم أسباب فساد أمور العامَّة والخاصَّة، واختلاط الرِّجال بالنِّساء سببٌ لكثرة الفواحش والزِّنا، وهو من أسباب الموت العامِّ والطّواعين المُتّصلة»[1]. انتهىٰ كلامه رحمه الله.

والإسلام لم يفرض علىٰ المرأة الحجابَ، ولم يمنعْها من تلك الأمور إلّا ليصونَها عن الابتذال، وليحميَها من التّعرّض للرِّيبة والفحش، وليمنعَها من الوقوع في الجريمة والفساد، وليكسوَها بذلك حُلّةَ التّقوىٰ والطّهارة والعَفاف، وسدّ بذلك كلّ ذريعةٍ تفضي إلىٰ الفاحشة، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ويقول تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ويقول تبارك وتعالىٰ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ

(١) «الطرق الحكمية» (ص٢٣٩).

بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ الآية [النور: ٣١]، ويقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب]، وقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ [الأحزاب].

وَروىٰ التِّرمذيّ في «جامعه»(١) عن النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «**المَرْأَة عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ؛ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطانُ**». ومعنىٰ: «**اسْتَشْرَفَها الشَّيْطَانُ**» أي: جعلها غرضًا له ليُهَيِّجَ من خلالها الفسادَ والشّهوة.

وعن أمّ حُمَيْدٍ السَّاعديَّة رضي الله عنها أنّها جاءت النّبيَّ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله! إنّي أحبّ الصَّلاةَ مَعكَ، قال: «**قَدْ عَلمْتُ أنّكِ تحِبِّينَ الصَّلاةَ مَعِي، وَصَلَاتكِ فِي بَيْتِكِ خَيْرٌ لَكِ من صَلَاتِكِ فِي حُجْرَتِكِ، وَصَلَاتكِ فِي حُجْرَتِكِ خَيْرٌ من صَلَاتِكِ فِي دَارِكِ، وَصَلَاتكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ لَكِ من صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ، وَصَلَاتكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمكِ خَيْرٌ لَكِ من صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِي**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ صُفوفِ الرِّجَال أَوَّلُهَا، وَشَرّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرّهَا أَوَّلُهَا**»(٣).

---

(١) برقم (١١٧٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أحمد (٢٧٠٩٠).
(٣) أخرجه مسلم (٤٤٠).

كلّ ذلك حفظًا للمرأة من الاختلاط بالرِّجال ومزاحمتهم؛ وهٰذا في حال العبادة والصَّلاة الّتي يكون فيها المسلمُ أو المسلمَة أبْعَدَ ما يكون عن وسوسَة الشّيطان وإغوائه، فكيفَ إذًا بالأمر في الأسواق والأماكن العامَّة والمنتَديات!! ولمَّا دخلَت علىٰ عائشة ﵂ مولاتها، وقالت لها: «يا أمَّ المُؤمنين! طفت بالبيتِ سبْعًا، واستلمْت الرّكنَ مرّتيْن أو ثلَاثا». قالت عائشة ﵂: «لَا آجَركِ اللهُ، لَا آجَركِ اللهُ، تدافعِينَ الرِّجَالَ!! ألَا كَبَّرْتِ ومَرَرْتِ»[1]. قالت لها ذلكَ مع أنّها في أشرف مكانٍ وخيرِ بُقعَةٍ، مكانَ طاعةٍ جِوارَ الكعبة؛ فكيفَ الأمر بمَن تزاحِمُ الرِّجالَ في الأسواق والأماكن العامَّة والمنتَديات، وهي في كامل زينَتِها وأجمل حِليتِها وأبهىٰ تعطّرها!!

❀❀❀

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩٢٦٨).

عبرة عظيمة
من قصة صحابية كريمة

هذه عبرةٌ عظيمةٌ وفائدةٌ جليلةٌ ثمينةٌ نفيدها من قِصَّةِ صحابيَّةٍ فاضلةٍ، وهي تحكي خبرَ إسلامها، ونبأ دخولها في هذا الدِّين، وبداية حياتها في الإسلام؛ تلكم هي قَيْلَة بنت مَخْرَمَة التّميميَّة ﵂، وقصَّتها طويلةٌ، رواها الطّبراني بتمامها في كتابه «المعجم الكبير»[١]، وأجتزئُ من قصَّتِها ﵂ ذكْرَها لخبر وُصولها إلىٰ المدينة ودخولها لمسجد النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، وكان ذلكم الدّخول كما رَوَتْ ﵂ وقتَ صلاة الفجر، والنّبيّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ يُصلّي بالمؤمنين، والصّفوف خلفَه قائمين لأداءِ هذه الصَّلاة العظيمة، قالت ﵂: «قَدِمْنَا عَلَىٰ رَسُول الله ﷺ وَهُوَ يُصَلّي بِالنّاسِ صَلاةَ الغَدَاةِ، وَقَدْ أقِيمَتْ حِينَ شَقّ الفَجْرُ، وَالنّجُومُ شَابِكَةٌ فِي السَّمَاءِ، وَالرِّجَال لا تَكَادُ تَعَارَف منْ ظلمَةِ اللّيْل، فَصَفَفْت مَعَ الرِّجَال، امْرَأَةً حَدِيثَةَ عَهْدٍ بِجَاهِليَّةٍ». ولنتأمّل امرأةً تَصُف إلىٰ جنب الرِّجال في مسجد النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ! وفي صَلاة الفَجر!! قالت: «فَقَالَ ليَ الرّجُل الّذي يَلِيني مِنَ الصَّفّ: امْرَأَةٌ أنْتِ، أمْ رَجُل؟ فَقلت: لا؛ بَل امْرَأَةٌ، فَقَالَ ﵁: إنّكِ

(١) برقم (٢٠٥٢٥).

قَدْ كِدْتِ تَفْتِنِينِي، فَصَلِّي فِي النِّسَاءِ. وَإِذَا صَفٌّ مِنَ النِّسَاءِ قَدْ حَدَثَ عِنْدَ الحُجُرَاتِ لَمْ أكنْ رَأَيْتهُ حِينَ دَخَلْت، فكنْت فِيهِنّ».

أي: أنّها ذَهبَت وصلّت مع النّساء، وَتعتَذر لنفسِها في ذلك الموقف الخاطئ أنّها كانت حَديثةَ عهدٍ بجاهليَّةٍ، أي: أنّها لم تكن علىٰ معرفة بالإسلام وتفاصيله وأحكامه وهداياته.

تأمَّلي أيَّتها الأخت المسلمَة؛ المكان: مسجدُ النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، والزّمان: زمانُه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، والوقت والحال: حال فاضلةٌ؛ وقت أداء صلاةِ الفَجر، ومع هذا كلّه! يقول ذلكم الصَّحابي الجليل ﷺ: «إنّكِ قَدْ كِدْتِ تَفْتِنِينِي» وهٰذا المعنىٰ الّذي ذكره ﷺ هو الّذي بيَّنه النّبيّ ﷺ في حديث أسامة بن زيد ﷺ قال: قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**مَا تَرَكْت بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرّ عَلَىٰ الرِّجَال منَ النِّسَاءِ**»[1]، وفي حديث أبي سعيد الخدري أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**فَاتّقوا الدّنْيَا وَاتّقوا النِّسَاءَ؛ فَإِنّ أوّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[2].

فخافَ ﷺ علىٰ نفسِه من الفتنَة وهو في مسجد النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ!! وهو خلف النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في صلاة الفجر!! فكيف الأمر عندما تخالط المرأة الرِّجال ليس في

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وقتِ ظلمةٍ كهٰذا؛ ولا مكانٍ شريفٍ كهٰذا، وإنّما في وقتٍ هو في وَضَحِ النّهار وفي الأسواق والمنتديات العامَّة، بكامل زينتها وتمام حِليَتِها وجمال تَعطّرِها، ممَّا هو خَطَرٌ دَاهِمٌ وبلاءٌ عظيمٌ يدمِّر ويُهلك ويُوقِع في الفتَن العِظام الّتي خافَ النّبيّ ﷺ علىٰ أمَّته منها!!

وإذا كانَ النّبيّ ﷺ في المسجدِ -بيت الله، الّذي هو مَوضِع الطّمأنينة والإيمان، وحُسنِ الإقبال علىٰ الرّحمٰن جلّ وعلا- يباعد بينَ النِّساء والرِّجال حيطةً وحَذَرًا، ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: **«خَيْرُ صُفوفِ الرِّجَال أوَّلهَا، وَشَرّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرّهَا أوَّلهَا»**. أي: أنّ المرأةَ حتّىٰ وإن كانت في المسجد بيت الله، كلّمَا كانت بعيدةً عن الرِّجال كان خيرًا لها وأوْلىٰ.

وصلاتها في بيتها خيرٌ من صلاتِها في المسجد؛ ففي حديث[2] أمِّ حُمَيْدٍ السَّاعديَّة رضي الله عنها قالت: أتيت النّبيَّ ﷺ وقلت: يا رسول الله؛ إنِّي أحب أن أصلّيَ معكَ في مسجدكَ هٰذا، قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: **«قَدْ عَلمْت أنّكِ تحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعِي، وَصَلَاتكِ فِي بَيْتِكِ خَيْرٌ لَكِ منْ صَلَاتِكِ فِي حُجْرَتِكِ، وَصَلَاتكِ فِي حُجْرَتِكِ خَيْرٌ منْ صَلَاتِكِ فِي دَارِكِ، وَصَلَاتكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ لَكِ منْ**

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ، وَصَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِي».

وجاء في «صحيح البخاري»[(١)] من حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا سَلَّمَ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ وَيَمْكث هُوَ في مَقَامِهِ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقومَ» قال الزّهري: «نَرىٰ ـ والله أعلم ـ أنّ ذلكَ كان لكيْ ينْصرِفَ النِّساءُ قبْلَ أن يدرِكهنّ أحدٌ من الرِّجال».

وجاء في كتاب الله ـ جلّ شأنه ـ ما يدُلّ علىٰ أنّ البُعدَ عن الاختِلاط كان موجودًا في الأمم السَّابقَة، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [سورة القصص] ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ.

فيا أيّتها المرأة المسلمة! اتّقِ الله جلّ وعلا، فإنّك ستلْقَيْنه ﷻ، وممَّا تسْألين عنه يومَ القيامة: عملكِ بهٰذه التّوجيهات وهٰذه الإرشادات المباركات في كتاب ربِّ البريّات وفي أحاديث الرّسول ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ؛ فإنّ في تقوىٰ الله ﷻ ولزوم شرعه والتّمسُّك بأهداب الدِّين وآدابه عِزّ المسلم وفلاحَه وسعادته في دنياه وأخراه.

---

(١) برقم (٨٧٠).

ومن الدّعوات العظيمةِ في هٰذا الباب: ما رواه أبو داود وغيره من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما كان رسول الله ﷺ يَدَعُ هؤلاءِ الدّعواتِ كلّ يوم إذا أصبحَ وأمسىٰ: «**اللّٰهُمَّ إنِّي أسْألكَ العَافِيَةَ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللّٰهُمَّ إنِّي أسْألكَ العَفْوَ والعَافِيَةَ فِي دِينِي ودُنْيَايَ وَأهْلِي ومَالِي، اللّٰهُمَّ اسْترْ عَوْرَاتِي، وَآمنْ رَوْعَاتِي، اللّٰهُمَّ احْفَظْنِي مِن بَيْنِ يَدَيَّ، وَمنْ خَلْفِي، وَعَن يَمينِي، وَعَن شِمَالي، وَمِن فَوْقِي، وَأعُوذ بِعَظَمَتِكَ أنْ أغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»[١]. والدّعاء بأمْنِ الرّوعات وستر العورات كما أنّه جاء وظيفةً في جملة أذكار الصَّباح والمساء فإنّه ثبتَ به الحديث عن النّبيِّ ﷺ دعاءً مطلقًا، يدعو به المسلم كلّ وقت وحينٍ؛ ففي «المعجم الكبير» للطّبراني[٢] عن خَبَّاب رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ، يقول: «**اللّٰهُمَّ اسْترْ عَوْرَتِي، وَآمنْ رَوْعَتِي، وَاقْضِ عَنِّي دَيْنِي**». فجديرٌ بالمسلم أن يعتَنيَ بهٰذَا الدّعاء، وأن يُوصيَ أبناءه وبناته بالمحافظة عليه، والتّوفيق بيد الله وحده لا شريك له.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١).

(٢) برقم (٣٦٢٢).

قصة امرأة من أهل الجنة

وَهذه قصَّةٌ عجيبةٌ عظيمةٌ، فيها عبرةٌ وعظةٌ؛ إنّها قصَّة امرأةٍ من أهل الجنّة: رَوىٰ البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[1] عن عطاء بن أبي رباحٍ قال: قال لي ابن عبَّاسٍ: ألا أرِيكَ امرَأةً من أهل الجنّةِ؟ قلتُ: بَلىٰ، قَال: هٰذه المَرأة السَّوْداءُ؛ أتتِ النّبيَّ ﷺ فقالت: إنِّي أصْرَعُ، وَإنِّي أتكشّف، فادعُ اللهَ لي، قال: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنّة، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْت اللهَ أَنْ يُعافِيَكِ؟**». فقالت: أصْبِرُ، فقالت: إنِّي أتكشّف، فادع اللهَ لي أن لا أتكشّفَ، فدعا لها.

لنَتَأمَّلْ في قصَّة هٰذه المرأة العظيمة؛ فهٰذه المرأة معها إيمان وصِدْقٌ، ونقاءٌ وصفاءٌ، ودين وحياءٌ، وبها هٰذه الشِّدّة والبلاء، ألا وهو ما أصابها من صرْع فكانَ يؤرِّقها ويُقلقها، ويُؤذيها ويضجُرها، فجاءت طالبةً من النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أن يدعوَ اللهَ لها أن يكشفَ ما بها من ضُرٍّ وأن يرفع عنها ما أصابَها من بلاءٍ، فأرشدَها ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ إلىٰ ما هو أعظمُ لها من ذلك ألا وهو أن تصبر علىٰ الشِّدَّة والبلاء واللّأواء، وتكون

---

(١) البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

العاقبة الجنّةَ، فاختارَت حسنَ العاقبة وجميلَ المآل وأن تكون من أهل الجنّةِ بضمانَة رسول الله ﷺ إن صَبرَتْ؛ فاختارت ﵂ الصَّبرَ، إلّا أنّه بقي يؤرِّقها ما كان يصيبُها من تكشّفِ بعضِ عورتها، وظهورِ بعض أعضاء جسمها حالَ صَرْعِها؛ مع أنّها معذورةٌ في هٰذه الحال لمرضِها، فليسَت مختارةً لذلك، ولا قابلةً له، ولا راضيةً به، ومع ذلكَ شدّة حيائها وقوّة إيمانها ونقاءُ قلبها وحسنُ زكائِها جعلها تقلَق أشدّ القَلَق من هٰذا الانكشاف، فاختارت ﵂ الصَّبر ولها الجنّة، إلّا أنَّها قالت: «إِنِّي أَتكشّف» أي: أنّ هٰذا أمرٌ لا أتمكّنُ من الصَّبر عليه، وإن كانَ واقعًا عن غير اختيارٍ منّي، فدعا لها رسول الله ﷺ، فكانت بعد ذلك تصْرَع ولا تتكشّف بدعوة النّبيّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ.

إنّ قصَّة هٰذه المرأة قصَّةٌ عظيمةٌ، تروىٰ في مكارم الأخلاق وجميلِ الصِّفات ومحاسن القيَم وجمال الحياء ونقاءِ القلب وصفائِه، نعم!! قالت: «إِنِّي أَتَكَشّف، فَادْعُ اللهَ لي أنْ لَا أَتَكَشّفَ». فكان هٰذا التّكشّف الّذي يقَع عن غير طوع واختيَار، وعلىٰ وضْع لا ملامَة عليها فيه تكشّفًا يؤَرِّقها ويقلقها.

فإذا كانت هٰذه حالها ـ وما أكرمها من حال، وما أعظمه من وصف ـ فكيف الحال بامرأةٍ تتكشّف، مبديةً محاسنها، مظهِرةً مفاتنَها، مبرزةً جمالها، بطَوْعِها واختيارها، غيرَ مُباليَةٍ ولا مُكترِثةٍ

لا بحياء ولا إيمان!! تَسمع آياتِ الله، وَتَسمعُ أحاديثَ رَسول الله ﷺ، وَتسمع ما في التّبرّج والسُّفور مِن وعيدٍ وتهديدٍ؛ فلا تبالي بشيءٍ من ذلكَ، ولا تكتَرث.

إنَّ هٰذه المرأة الّتي هي من أهل الجنّة كان تكشّفهَا بسببَ صَرْع معذورةٍ، وكانت تكره ذلك التّكشّفَ أشدّ الكراهَة، لكن ما يقَع في عددٍ من النِّساء من تكشّفٍ وتبرّجٍ وسُفورٍ سبَبُه صرعٌ من نوع آخر أصبن به ولا يُعذرن فيه؛ إنّه صَرعُ الشّهوات، بسبب ضعف الإيمان وقلّة الدِّين وذهاب الحياء؛ بأن يكون الإنسان صريعَ شهواتِه وصريعَ تتبع ملذّاتِه، فيكون بهٰذا الصَّرع ليس مباليًا ولا مُكْترِثا بما يفعَله أهُو من رضَا الله ﷻ أم من سَخَطِه؟.

وَقد عظم هذا النّوع من الصَّرع في هٰذا الزّمن؛ بسبب كثرةِ الفتن، وتنوّع دواعي الشّهواتِ، وبُروز أصنافِ المُغْرِيَات في حياة النّاس، وما استجدّ فيه من وسائل حديثةٍ، كثيرٌ منها تؤجِّج الفتنَ وتثير في النّفوس الشّهوات؛ من خلال قنوات آثمة، ومواقع موبوءة، لا هدفَ لها ولا غايةَ إلّا إيقاع النّاس في صَرع الشّهوات، وأن يكونوا طريحي الملذّات، فعَظمَ البلاء واشتدّ الخطْب.

وقد تحدّث الإمام ابن القيِّم رحمه الله في كتابه العظيم «زاد المعاد» عن هٰذا النّوع من الصَّرع، وعن حال النّاس معَه، وما أصابَ كثيرًا منَ النّاس بسبَب ذلك من فتنٍ وعواصف شديدةٍ، تعصف

بالإيمان واليَقين، وتزلزل الأخلاقَ والحياء، ذاكرًا حال النّاس في زمانه؛ فكيف به لو رأىٰ حال النّاس في أزمانٍ مُتأخّرَةٍ مع فتن مُتكاثرَةٍ!! يقول رَحِمَهُ اللهُ: «وأكثرُ تَسلّط الأرواح الخبيثةِ علىٰ أهله تكون من جهة قلّةِ دينهم، وخرابِ قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذِّكر، والتّعاويذ، والتّحصّنات النّبويَّة والإيمانيَّة، فتلقىٰ الرّوحُ الخبيثة الرّجلَ أعْزَلَ لا سلاحَ معه، ورُبَّما كان عريانًا فيؤَثّرُ فيه هٰذا.

ولو كشف الغطاء، لرأيت أكثرَ النّفوس البشريَّة صرعىٰ هٰذه الأرواح الخبيثة، وهيَ في أسْرِها وقبضَتِها تسُوقها حيث شاءت، ولا يمكنُها الامتناعُ عنها ولا مخالفَتها، وبهذَا الصَّرع الأعظَم الّذي لا يفيق صاحبُه إلّا عندَ المفارقَة والمعاينَة، فهناك يتحقّق أنّه كانَ هو المصروعُ حقيقةً، وبالله المستعان.

وعلاج هٰذا الصَّرع باقتران العَقل الصَّحيح إلىٰ الإيمان بما جاءت به الرّسل، وأن تكون الجنّة والنّار نُصْبَ عينَيْهِ وقبلةَ قلبِه، ويستَحضر أهلَ الدّنيا، وحلولَ المَثلات والآفاتِ بهم، ووقوعها خلالَ ديارهم كمواقع القَطْر، وهُم صرعىٰ لا يفيقون، وما أشدّ داءَ هٰذا الصَّرع! ولكن لمَّا عَمَّتِ البليَّة به بحيث لا يُرىٰ إلّا مصروعًا، لم يصر مُستَغْرَبًا ولا مُسْتَنْكَرًا، بل صار لكثرةِ المصروعين عينُ المستَنكر المستَغرب خلافَه.

فإذَا أراد الله بعبدٍ خَيرًا؛ أفاق من هٰذه الصَّرعة، ونظر إلىٰ أبناء الدّنيا مصروعين حوله يمينًا وشمالًا علىٰ اختلاف طبقاتِهم، فمنهم مَن أطبق به الجنون، ومنهم من يفيق أحيانًا قليلةً، ويعودُ إلىٰ جنونه، ومنهم مَن يَفيق مرّةً، ويجنُ أخرىٰ، فإذا أفاق؛ عَملَ عمل أهل الإفاقة والعَقل، ثمَّ يعاودُهُ الصَّرعُ، فيقع في التّخبّط»[1].

يقول ذلك رحمه الله ولم يرَ دواعي الفتن، وما استجدّ علىٰ النّاس في مثل هٰذا الزّمان؛ ممَّا يعصف بالإيمان، ويخلخل الأخلاقَ، ويُذهب المروءةَ والحياء، ومن لم يأخذ نفسَه بزمام الشّرع ويزمَّها بزمام هدي نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ كان من صَرْعىٰ هٰذه الآفات، وقتلىٰ هٰذه الفتن، وطريحي هٰذه الشّهوات.

أيَّتها المرأة المؤمنة! تأمَّلي في حياة هٰذه المرأة ـ السَّوداء، صادقة الإيمان، عظيمة الحياء ـ وهي تخاطب النّبيَّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ صابرةً علىٰ الشّدّة واللّأواء، قائلةً: «إنِّي أتكَشّف، فَادْعُ اللهَ لي أنْ لَا أتكَشّفَ». إذا كانت هٰذه حالها خوفًا من التّكشّف مع أنّها معذورة؛ فكيف حالك أنتِ أيَّتها المؤمنة؟!

إنّ بعضَ النّساء ابْتلينَ في هٰذا الزّمان بانهزاميَّةٍ عظيمةٍ وتحولٍ شنيع؛ بسبب انبهارٍ بحضارات زائفةٍ وتقدّم قاتل، فأصبَحت المرأة لا تقلّد مَن هي مُعْجَبَةٌ بحضارتها إلّا في توافه الأمور وخسيس

---

(١) «زاد المعاد» (٤/ ٦٣).

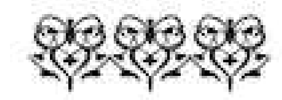
الأشياء وحقير الأخلاق؛ فجنت علىٰ نفسها أعظمَ جنايةٍ، وجرّت علىٰ إيمانها أعظمَ بلاء.

ألا فلتتّقِ الله كلّ أمَةٍ مُسلمَة وكلّ امرأةٍ مؤمنةٍ، ولتتذكّر وقوفَها بين يدي الله، وأنّ اللهَ ربَّ العالمين سائلها يومَ القيامة عن حيائها، وعن سترها، وعن حشمتها، وعن كلّ ما جاء في كتاب ربِّها وسُنّةِ نبيِّها صلوات الله وسلامه عليه.

ولمَّا أصِيبَ بعضُ النِّساء بهٰذا النّوع من الصَّرْع ـ صرع الشّهوات ـ فأصبَحْنَ طَريحاتٍ لهٰذا الصَّرع، جنَىٰ عليهنّ أنواعًا من الجنايات؛ ولهٰذا يُرىٰ في كثيرٍ من بلدان المسلمين وديار أهل الإيمان في أنحاءٍ كثيرةٍ تكشّفٌ و تبرّجٌ وسفورٌ لا يُعرَف إطلاقًا في تاريخ حياة المرأة المسلمة، بدءًا من الصَّحابيَّات الكريمات ومن اتّبعهُنّ بإحسان من نساء الإيمان وأهل الصِّدق والعِفّة والحياء، فأصبح هؤلاء النّساء الصَّريعات لا يُبالين بكَشف المحاسن وإبراز المفاتِن؛ فتلك تكشف صدرَها، وأخرىٰ تبدي نحرَها، وثالثةٌ تحلّ عن شعرها، وأخرىٰ تبدِي ساقَها وفخِذَها، إلىٰ أنواع من التّكشّف والسُّفور والتّبرج، من غير وازعِ إيمان، ومن غير حياءٍ ولا خشيةٍ للرّحمٰن؛ أتذكّرَ هؤلاء النِّساء البعثَ والوقوف بين يدي الله؟! ثمَّ الحساب والعقاب علىٰ كلّ منكرٍ اقْتَرَفنَه، وكلّ فِعل شَنِيع ارتكبنَه؟! فما الّذي غرّها في إيمانها؟ وما الّذي غرّها في حيائها؟!

وما الّذي جعلها تنحطّ إلىٰ هٰذا السُّفول، وتهوي في هٰذا الدّرْك من الانحطاط؟!

ألَا فلتتدارك المرأة ذلك، ولتنْقِذ نفسَها من هٰذا الصَّرْع مستعينةً بربِّها، سائلةً سيِّدَها ومولاها جلّ شأنُه أن يمُنّ عليها بالعَفاف، وأن يرزقَها الحشمةَ والسِّتر، آخِذَةً بمأخَذ الحزم والعَزم؛ صيانةً لنفسِها، ورعايةً لحيائها، ومحافظةً علىٰ إيمانها؛ والتّوفيق بيد الله وحده.



قرار المرأة وقارها

إنّ النِّعمَةَ علينا ـ معاشرَ المسلمين ـ والمنّةَ عظيمةٌ بالهداية لهٰذا الدِّين والصِّراط المستقيم، إنّه دين الله تبارك وتعالىٰ الّذي رضِيَه لعباده، ولا يرضىٰ لهم دينًا سواه، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، إنّه الدِّين الّذي أصلح الله به العقائد والأعمالَ والأخلاق، وأصلح به ظاهرَ المرءِ وباطنَه، وزيَّنه بجمال هٰذا الدِّين وكماله، إنّه الدِّين الّذي من تمسَّكَ به؛ أفلح ونجح، ومن تَرَكَه؛ ترحَّلت عنه العقيدة السَّليمة والأعمال القويمة والأخلاق الفاضلة النّبيلة، إنّه الدِّين القويم والصِّراط المستقيم الّذي لا فلاح ولا سعادة للعباد في دنياهم وأخراهم إلّا بتحقيقه والقيام به؛ الصِّدق شعارُه، والحقّ مَداره، والعَدل قِوامُه، وَالرّحمة رُوحُه، وَالخير قرينُه، وَالصَّلاح وَالإصلاح غَايته وقصده، فما أعْظَمَ هٰذا الدِّين، وَمَا أجلّ النِّعمةَ علينا به؛ فلنحمدِ الله ربَّنا عَلىٰ أنْ هدانا لهٰذا الدِّين وأن جعَلنا من أهله، ولنَسْألهُ تبارك وتعالىٰ الثّبات عليه إلىٰ الممات.

لقد جاء هٰذا الدِّينُ القويم بهداياته العظيمة وتوجيهاته

السَّديدة مُصلحًا للعباد، مُحقّقًا للفلاح، قاطعًا لدابر الفتن والفساد. وإنّ منْ تدابير الدِّين العظيمة وتوجيهاته المباركة تلك التّوجيهات الّتي جاءت في كتاب الله جلّ وعلا وسُنّة نبيِّه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ مُختَصَّةً بالمرأة المسلمة، محقّقةً لها في تمسُّكِها بتلك الآداب والتّوجيهات الفلاح والسَّعادة والصِّيانة والرِّفعة في الدّنيا والآخرة، والمرأة المسلمة إذا وفّقها الله جلّ وعلا وشرح صدرَها للتّمسُّك بآداب الإسلام وأحكامه سعِدت وسلمت وسلم أيضًا مجتمعُها من الافتتان بها؛ لأنّ المرأةَ فتنةٌ، بل قال النّبيّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ فيما صحَّ عنه: «**مَا تَرَكْت بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرّ عَلَىٰ الرِّجَال منَ النِّسَاءِ**»[١]. وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**فَاتّقوا الدّنْيَا، وَاتّقوا النِّسَاءَ، فَإِنّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[٢]. فالفتنة في النِّساء فتنةٌ عظيمةٌ وشديدةٌ للغاية، وقد خافها وخَشِيَها نبيّ الهدىٰ والرّحمة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ علىٰ أمَّته، وجاء الإسلام بتوجيهات مُسدّدَةٍ وإرشاداتٍ عظيمةٍ، إذا أخذت بها المرأة؛ سَلمَت، وسَلمَ مُجتَمَعُهَا من الافتتان بها.

إنّ الواجب علىٰ المرأة المسلمة أن تقرأ القرآن وأحاديث الرّسول الكريم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، وتأخذ بالتّوجيهات

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الواردة في الكتاب والسُّنّة مَأْخذَ الجدِّ والعزيمة دون تراخٍ أو توانٍ؛ فإنّ في تلك التّوجيهات صلاحَها وسعادَتها في دنياها وأخراها، ولمَّا تمرّدَ بعض النّساء على توجيهات الشّرع وإرشاداته الحكيمة؛ وقَعْن - والعياذ بالله - في مهاوي الرّذيلة ومآلاتِ الهلاك، وكثيرٌ منهُنّ بعدَ خطوَاتٍ طويلةٍ وعمرٍ مديدٍ أمضَيْنَهُ في البعد عن شرع الله وتوجيهات الإسلام، أعلنّ في مناسباتٍ كثيرةٍ فشلَهُنّ بسبب ذلك البُعد عن قِيَم الإسلام وآدابه، والسَّعيدُ من اتّعظ بغيره، والشّقيّ من اتّعَظَ بِهِ غيرُه.

إنّ المسلمة عندما تتأمَّل في آداب الإسلام وتوجيهاته لها؛ لا ترى أنّها تكبيل لها وتقييدٌ لحرِّيَّتها، كما يزعُمه خصومُ الإسلام وأعداءُ الدِّين، بل إنّ توجيهات الإسلام للمرأة المسلمة توجيهاتٌ تكفل للمَرأة الحياةَ النّبيلةَ والعيشَ الهنيءَ، بعيدًا عن أخطار الفتَن ومسالك الانحلال والانحراف والفسَاد، وعندما تأخذ المرأة بتَعاليم الإسلام؛ تعيش حياةَ الوقَار والكمال والجَمال والعفّة، والحديث في بيان هٰذه التّوجيهات يطول؛ لكن لنقف مع هذا التّوجيه العظيم:

يقول الله جلّ وعلا: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وفي قراءة ﴿وَقِرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾، والمعنى على القراءة الأولى: منَ القَرار، وهو

المُكث في البيوت، وعدم الخروج إلّا لحاجة وضَرورة ملحَّة، وعلىٰ القراءة الأخرىٰ ﴿قِرْنَ﴾: منَ الوقار، وَبين القراءتَيْن تلازمٌ في المعنىٰ؛ فإنّ المرأةَ إذا قرّت في بيتها؛ تحقّق لها الوقار، بينما إذا كانت خرّاجةً ولّاجةً؛ فإنّ هٰذا الخروج والولوج وعدمَ القَرار في البيوت يُفضي بها إلىٰ البعد عن الوقار، وحلول أضدادِ ذلك محلّه.

وفي قوله: ﴿بُيُوتِكُنَّ﴾؛ مع أنّ البيوتَ في الغالب ملْكٌ للأزواج، لكن لما للمرأة من اختصاص بالبيت وبقاءٍ به ورعايةٍ له ومسؤوليَّةٍ عظيمةٍ فيه أضيفَ البَيت إليها؛ لأنّها مطلوبٌ منها ملازمة البيت والقرارُ فيه، وأن لا يكون لها خروجٌ من بيتها إلّا لحاجة.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾؛ فإذا خرجت من بيتها تخرج لحاجةٍ أو لضرورة ملتزمةً بضوابط الشّرع وآدابه، فمن التّبرّج: سفور المرأة وإبداؤُها محاسنَها، وإظهارُها لزينتها، وتعطّرُها وتجمُّلها، وحرصُها علىٰ فتن الرِّجال ولفت أنظارهم، فكلّ هٰذه المعاني من تبرّج الجاهليَّة الأولىٰ الّتي لا تَنال منها المرأة إن فعلتها إلّا الانحطاط والسُّفول والعياذ بالله.

ثمَّ هٰذه المرأة الكريمة المصونة الّتي قرّت في بيتِها تأتي التّوجيهات إلىٰ الرّجل أن يرعىٰ كرامتَها وأن يَحفَظَ لها فضيلتَها، وأن لا يكون هُناك اختلاطٌ بين الرِّجال والنِّساء أو خَلوةٌ بالمرأة

الأجنبيَّة لما يَترتَّبُ علىٰ ذلك من فتنٍ وأضرارٍ، ففي «الصَّحيحين»[(١)] عن عقبة بن عامر ﷺ أنّ النّبيّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ قال: «**إيَّاكمْ وَالدّخولَ عَلَىٰ النِّسَاءِ**»، وفي رواية «**لَا تَدْخلوا عَلَىٰ النِّسَاءِ**»[(٢)]؛ فالمرأة مطلوبٌ منها أن تَقَرَّ في بيتها، ونُهِيَ الرِّجال الأجانبُ عن الدّخول علىٰ النّساء في البيوت لما يترَتّبُ علىٰ ذلك من شَرٍّ وفتنةٍ وهلاكٍ، «فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله؛ أفرأيْتَ الحمْوَ؟» أي هل يشمله ذلك؟ والحَمْوُ أو الأحماء: أقارب الزّوج عَدَا آباءَه وأبناءَه؛ كأخيه وعمِّه وخاله وابن عمِّه وابن خاله، قال النّبيّ ﷺ: «**الحَمْوُ المَوْت**».

ولْنَقِفْ مع هٰذا التّنبيه والزّجر العظيم: «**الحَمْوُ المَوْت**»؛ الحَمْوُ: الّذي هو قريبُ الزّوج من أخٍ وعمٍّ وابن عمٍّ وخالٍ وابن خالٍ قال عنهم ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ: «**الحَمْوُ المَوْت**» فكيف بالرِّجال الأجانب البُعَدَاء عن المرأة، ومَن ليس لهم بها قرابةٌ ولا بزوجها؟!

قال: «**الحَمْوُ المَوْت**»؛ وفي تعبيره ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ بالموت تنبيهٌ إلىٰ أنَّ الإخلالَ بآداب الإسلام ووصاياه العِظام لا يوصل بمَن أخلّ بها إلّا إلىٰ الموت والهلكَة، نعم!! قد يكون هٰذا

(١) البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم» (٢١٧٢).
(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢٦٨٤).

المخِلّ بآداب الإسلام يمشي علىٰ قدمَيْه ويأكل ويشرب ويتحدّث ولكنّه في الحقيقة ميِّتٌ؛ لأنّ الفضيلةَ والعفّةَ والشّرفَ والكرامةَ ماتت عنده، فلم يكن من أهلها.

فالفَضيلة تموت، والعِفّة تموت، والأخلاق تموت، ولموتها أسباب، ودينُنا جاء لحماية العباد من موت الفَضيلة وموتِ الأخلاق وموتِ الآداب.

إنّ المرأةَ المسلمةَ ولا سيَّما في زماننا هٰذا زمنِ الفتن، الزّمنِ الّذي انفتح فيه كثيرٌ من النّاس علىٰ عادات الكفّار وتقاليدهم، بل ومجونهم وانحلالهم وانحرافهم وانحطاطهم وسُفولهم، ومع كثرة النّظر وإدمان المشاهدة من خلال القنوات الفضائيَّة، ومن خلال مواقع الشّبكة العنكبوتيَّة، ومن خلال مَجلّاتٍ هابطةٍ، ونحو ذلك بدأت تتسَلّل تلك الأخلاق إلىٰ عقول بعض النِّساء، والمرأة ضعيفةٌ وسريعة الافتتان إلّا من حماها الله ﷻ ووقاها وسارعت بإنقاذ نفسها، وسدِّ أبواب الفتنة عنها ملتجئةً إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ معتصمةً به.

إنّنا في زمانٍ يجب علينا أن تتظافر فيه جهودنا حمايةً للفضيلة، ورعايةً للكرامة، وصيانةً للشّرف، ورعايةً للغَيرة الدِّينيَّة الّتي جاء بها دين الله تبارك وتعالىٰ، لنعيش في كَنَف الإسلام وآدابه العظام وتوجيهاته المُسَدّدة حياةَ شَرَفٍ وفضيلة، وكرامةٍ ورِفعةٍ، وإذا كان

دينُنا الحنيف بتوجيهاته العظيمة وإرشاداته السَّمْحَة المباركة يريد من المرأة أن تعيشَ حياةَ الكمال والفَضيلة والرِّفعة، فإنّ أعداءَ الدِّين وخصومه لا يريدون منها ذلك؛ بل يريدون حياة الرّذيلة والانحطاط والسُّفول ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ٢٧﴾ [النساء]، نعم! إنّها حقيقةٌ ظاهرةٌ؛ فعلىٰ المرأة المسلمة أن لا تستهين بهٰذا الأمر وأن لا تسمع لدعوة كلّ ناعقٍ وكلّ هاتفٍ، وإنّما ليَكنْ سماعُها مقصورًا علىٰ ما كان مُدْعَمًا بالحجج البيِّنات والدّلائل الواضحات من العلماء المُحَقّقين الرّاسخين أهل الدِّراية بكتاب الله ﷻ وسنّةِ نبيِّه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ.

قَـدْ هَيَّـؤُوكَ لأمْـرٍ لَـوْ فَطِنْـتَ لَـهُ فَارْبأْ بِنَفْسِكَ أنْ تَرْعَىٰ مَعَ الهَمَلِ

إنّ المرأة إن عاشَت مع آداب الإسلام عاشت حياةً كريمةً فاضلةً في نفسها خاصّةً، وفي مجتمعها حياةَ الكرماء وعيشَ الأفاضل النّبلاء، وإن فتِنَت ومَضَت مع دعاة الفتنة ودعاة الشّرّ والفَساد هلكَت في نفسها وكانَت سبب هلاكٍ لغيرها.

ولْتَتَذَكّرْ أنّها يومًا من الأيّام ستغادر هٰذه الحياة، وأنّها بجسمها الجميل ومحاسنها الفاتنة وتزيينها لنفسِها وفتنها للرِّجال سيأتي عليها يومٌ وتدرَج في حفرةٍ ويُهَال عليها التّراب وتأكلها الدِّيدان

ويذهب عنها رَوْنَقها وجمالها، وتكون في تلك الحفرة رهينةَ أعمالها، وقيدَ ما قدّمت في هٰذه الحياة، فقد كان قبلها نساءٌ عَمَرْنَ القصور ثمَّ سَكَنَّ القبورَ في أحوالٍ هائلةٍ وألوانٍ حائلةٍ، ورؤوسٍ عن الأبدان زائلةٍ، وعيونٍ علىٰ الخدود سائلةٍ؛ فلتتّقِ الله المرأة المسلمة ولْتعِدّ لهذا اليوم عدّته.

تأملات في قوله تعالى:
﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾

قال الله تعالىٰ في سورة النّور: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

أمر الله جلّ وعلا في هٰذه الآية الكريمة المؤمنات بغضِّ الأبصار وحفظ الفروج وذكر أحكامًا أخرىٰ تتعلّق بالمرأة، وقد ذكرَ ذلك تبارك وتعالىٰ بعد آية تتعلّق بالرِّجال في الموضوع نفسِه، فقال تبارك وتعالىٰ قبل هٰذه الآية مباشرةً ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فغضُّ البصر أزكىٰ وأطهرُ وأنقىٰ للرّجل والمرأة معًا، ومن أطْلَقَ لبصره العِنان، وأخذَ ينظرُ هنا وهناك ولا يرعىٰ حرماتِ الله تبارك وتعالىٰ، فإنّ هٰذا ذريعةٌ للوقوع في الفاحشة والمُحرّم؛ إذِ النّظرُ المُحَرّمُ وسيلةٌ للزّنا وبريدٌ مُوصِل إليه.

وقوله: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ذكر هٰذا اللّقب العظيم؛ لأنّه يقتضي من صاحبه أن يمتثل أمر الله تبارك وتعالىٰ، فالمؤمنة الصّادقة الّتي ينطبق عليها هٰذا الوصف لا تتردّد في الاستجابة لأمر الله تبارك وتعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، كَأَنْ تقول: هٰذا يصلح، أو لا يصلح، هٰذا يناسبُني، أو لا يناسبُني، أو نحو ذلك، وإنّما تنقاد وتستَسلم.

وقوله: ﴿يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾؛ جاء هنا بـ﴿مِنْ﴾ الّتي للتّبعيض؛ فغضُّ البصر مطلوبٌ في الأمور الّتي أمر الله تبارك وتعالىٰ بغضّ البصر فيها، ولهٰذا سيأتي في الآية استثناءاتٌ لم تؤمر بغضّ البصر عنهُم، وفي المطالبة بغضِّ البصر لا فَرْقَ بين النّظر إلىٰ الرّجل مباشرةً أو النّظر إلىٰ صورته؛ لأنّ النِّهايةَ في الأمرَيْنِ واحدةٌ.

وفي البَدء بغضِّ البصر قبلَ حفظ الفَرْجِ بَدْءٌ بوسيلةٍ من الوسائل الّتي تؤَدِّي المحافظة عليها إلىٰ حفظ الفَرج، فالمرأة الّتي لا تعنَىٰ بغضِّ بصرها معرِّضةٌ نفسَها للخطر؛ لأنّ الشّيطانَ يستدْرِجُها شيئًا فشيئًا، ولو تأمَّل الإنسان في بداية النِّساء الفاجرات اللّاتي ابْتلينَ بالفواحش العظيمة وجد أنّ بدايتهنّ كانت من هٰذا القبيل؛ إمّا أنّها أطلقت لبصرها العِنان، أو أنّها أخذت تنظرُ في المجلّات الخليعة أو في الصّور الماجنة، أو تستمع الأغاني الآثمة

أو نحو ذلك من الوسائل المُحرّمة الّتي تؤَدّي إلىٰ الزِّنا، إلىٰ أن أصبحت بتلك الدّرجة والعياذ بالله.

ولهٰذا بدأ الله تبارك وتعالىٰ بذكر وسيلةٍ من الوسائل المُؤدِّية للفاحشة، وفي هٰذا تنبيهٌ علىٰ غيرها، فما كان مثلها يفضي إلىٰ الفاحشة فله حكمُها؛ ومن ذلك سماعُ الأغاني المُحرّمة، والغناء بريد الزِّنا وطريقٌ مُؤَدٍّ إليه، ورؤية الصّور أو المناظر المُحرّمَة أو المحادثات المُحرّمَة أو الحديث مع النِّساء المُبْتَلَيات بمثل هٰذه الأمور الباطلة، فهٰذا كلّه مما يُؤَدِّي إلىٰ الوقوع في هٰذه الفاحشة.

ثمَّ قال: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾؛ حفظ الفَرْج من أهمِّ الأمور الّتي ينبغي أن تعنَىٰ بها المُسلمَة باتِّخاذ كلّ سببٍ يُؤَدِّي إلىٰ حفظه، والّتي تحفظ فرجَها تنال بذلك ألقابًا شريفةً كريمةً لا تنالها إلّا بحفظِه، حيث وُصِفَت بالعَفيفة، والمُحصَنَة، والبرّة، والتّقيَّة، إلىٰ غير ذلك من الأوصاف الكريمة؛ فكيف تَستبدل هٰذه الأسماء الجليلة باسم الفسوق!! وكيف تستبَدلها بألقاب شنيعة!! كالزّانية، الفاجرة، العاهرة، الخبيثة؛ و﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١].

وقد جاء عن النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «**مَنْ يَضْمَنْ لي مَا بَيْنَ لحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنّةَ**»(١). وحفظ اللّسان سببٌ من

(١) أخرجه البخاري، (٦٤٧٤)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

أسباب حفظ الفرج؛ فإنّ النَّبيّ ﷺ يقول: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كلّهَا تكَفِّرُ اللّسَانَ، فَتَقول: اتّقِ اللهَ فِينَا؛ فَإِنّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»(١). فالأعضاء كلّها بما فيها الفَرْجُ تبعٌ للّسان، وكم من امرأةٍ مؤمنةٍ صالحةٍ عفيفةٍ شريفةٍ تعيش بين أسرتها في إيمانٍ وصلاحٍ وتقوىٰ فجاءها ذئب من الذِّئاب فأفسدها بلسانه! وأخذ ـ إمَّا عبر الهاتف أو غيره ـ يحدِّثها بكلام رقيقٍ وألفاظٍ مُغْرِيةٍ، فأفسد عليها عِفّتَها وشَرَفَها وكرامتها.

ثمَّ إنَّ سياق الآية اشتمل علىٰ ضوابط عديدة عظيمة مَنْ ترعاها حقّ رعايتها، وتحافظ عليها تمام المحافظة، فإنّها توصلها إلىٰ حفظ الفَرْجِ وصيانته وسلامته وعفّته:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾؛ أي: الجلباب الّذي يغطّي جسمَ المرأة كاملًا، فإنّه لا حرجَ عليها فيه، ولا طاقة لها بإخفائه، ولكن عليها أن تراعيَ فيه أن لا يكونَ نفسُه لباسَ فتنة، فبعض النِّساء تنتقي عَباءَةً مُزَيَّنَةً ومُزَخرَفَةً فيها فتنةٌ للرِّجال، فتكون بذلك مخالفَةً أمرَ الله تبارك وتعالىٰ في هٰذه الآية، فعليها أن تستشعر وهي تلبس هٰذه العباءة أنّها لباسُ حِشمةٍ، وليست لباسَ تزيّن.

وقوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ والخمار: هو الجلباب الّذي تغطّي به المرأة جسمَها، فإذا كنّ بحضرة الرِّجال الأجانب يجب أن

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يَضْرِبْنَ بخمُرُهِنّ علىٰ جيوبهنّ فتغطّي وجْهَها، وتغَطّي يدَها، وتغطّي جسمَها، وتغَطّي زينَتَهَا؛ لئَلّا تَفتِنَ الرِّجال بزِينَتِها، فتكون وسيلةً لوقوع الفساد.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ لمَّا نهىٰ الله تبارك وتعالىٰ عن إبداء الزِّينة ذكَر جلّ وعلا استثناءاتٍ من هٰذه الآية للمرأة أن تكشف وجهَها ويديها عندهم، فقال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ البَعْل: هو الزّوج، فتبدي زينتَها لزوجها، بل إنّ المرأةَ لا يُشرع لها أن تتّخذ كاملَ الزِّينةِ وأبهاها وأحسنَ زينتها إلّا عند زوجِها، لكن بعض النِّساء تعتَني بالزِّينة إذا أرادَت الخروجَ إمَّا للمناسبات أو نحو ذلك، أمَّا عند زَوجِهَا لا تتّخذُ زينَةً أبدًا أو تتّخِذُ زينَةً ضعيفَةً!! وهٰذا من الانتكاس في الفهوم.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ فكلّ هؤلاء محارمٌ لها.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: يجوز للنِّساء أن ينظر بعضُهُنّ إلىٰ بعض مطلقًا، ويحتمل أنّ الإضافةَ تقتضي الجنسيَّة، أي: النِّساء المسلمات، اللّاتي من جنسِكم، ففيه دليل لمن قال: إنّ المُسلمةَ لا يجوزُ أن تنظرَ إليها الذِّمّيَّة.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ فيجوز للمَملوكِ إذا كان كلّه للأنثىٰ أن

ينظر إلىٰ سيِّدته، ما دامَت مالكةً له كلّه؛ فإن زال الملك أو بعضُه لم يجز النّظرُ.

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ أي: أو الّذين يتبعونكم، ويتعلّقون بكم من الرِّجال الّذين لا إِرْبَةَ لهم في هٰذه الشّهوة، كالمعتوه الّذي لا يدري ما هنالك، وكالعِنِّين الّذي لم يبقَ له شهوةٌ، لا في فرجه، ولا في قَلبه، فإنّ هٰذا لا محذُور من نظرِه.

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: الأطفال الّذين دون التّمييز؛ فإنّه يجوز لهم النّظر إلىٰ النِّساء الأجانب، وعلّل تعالىٰ ذلك بأنهم ﴿لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: ليس لهم علمٌ بذلك، ولا وُجِدَت فيهم الشّهوة بعدُ، ودلّ هٰذا أنّ المميِّز تَسْتَتِرُ منه المرأة؛ لأنّه يظهرُ علىٰ عورات النِّساء.

وعندما نتأمّل هٰذا السياق؛ هل يدخل السَّائق والخادم في ضمن هؤلاء أو لا يدخل؟ هل استثناه الله تبارك وتعالىٰ في هٰذه الآية من ضمن من استثنىٰ بأن تكشفَ له المرأة وجهَها أو تبدي له زينتَها؟ حاشا والله، لم يُسْتَثْنَ؛ بل هو رجل أجنبيٌّ يجب علىٰ المرأة أن تحتَجب عنه، وقد وقَع بسبب التّفريط بهذه الأحكام فواحشُ كثيرةٌ يَنْدَىٰ لها جبين المؤمن إمَّا عن رضا أو عن اغتصاب، وهٰذا كلّه نتج عن إهمال أوامر الله الّتي فيها الصِّيانة

والعِفّة في الدّنيا والآخرة.

ثمَّ قال: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ وهٰذه أيضًا من الأمور الّتي فيها صيانة المرأة وعفّتها؛ فإذا كانت المرأة مثلًا تلبس الخلخال الّذي في رجلها لا يجوز لها أن تضرب برجلها حتّىٰ تلفتَ أنظار الرِّجال الأجانب إليها؛ لأنّها تكون فاتنةً لهم إذا فعَلت ذلك، ومن ذلك - أيضًا - إذا كانت تلبس الحذاء الّذي له صوتٌ ذي الكعب العالي؛ لأنّه يُظهر عجْزَ المرأة ولأنّه يُحدِث الأصوات الّتي تلفِت أنظار الرِّجال، والمرأة المؤمنة العفيفة الصَّالحة تبتَعد عن ذلك وتختار لنفسها الأحذية الّتي لا تؤدِّي إلىٰ هٰذا الّذي حرَّمه الله.

ثمَّ ختم الله تبارك وتعالىٰ هٰذه الآية الكريمة بخاتمةٍ عظيمةٍ مهمَّةٍ جدًّا، فقال جلّ وعلا: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾، فمَنْ كانت مُضيِّعةً مفرِّطةً فلْتبَادِرْ للتّوبة لتكونَ من حزب الله المُفلحين.

نصيحة وتهنئة

تتأكّد في هٰذا الزَّمن علىٰ وجه الخصُوص ـ زمنِ الفتن المتكاثرات، والمُلهيات المتنوِّعات، والصَّوارف المتعدِّدات الَّتي شغلت كثيرًا من النّاس عن الغاية الّتي خلقوا لأجلها وأوجِدُوا لتحقيقها ـ الوصيَّة بتقوىٰ الله جلّ وعلا، وطاعتِه سبحانه، ولزوم شرعه الحكيم نصحًا للعباد ومَعذِرَةً إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ، ويتأكّدُ هٰذا الأمرُ في شأن المرأة علىٰ وجه الخصوص لا سيَّما والتَّركيز في هٰذا الزّمن عليها؛ مؤامراتٌ تحاك وخططٌ تدبَّر، ومآل ذلك إطاحةٌ بحشمة المرأة وعفّتِها، وسِتْرِها وحيائها، وكرامتها وفضيلتها، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة النساء].

ويتأكّد علىٰ المرأة خاصَّةً والأمر يعنيها بالدّرجة الأولىٰ أن تتّقيَ الله جلّ وعلا ربَّها، وأن تعرف حقّهُ عليها وما أمَرَها سبحانه به وما جاء عن الرّسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من توجيهات عظيمات وإرشادات مسدّدات فيها عفّة المرأة وعزّها وفضيلتها وسعادتها في الدّنيا والآخرة.

والمرأة الحصيفَة العاقلة النّاصحة لنفسها لا تلتَفت لما يقوله

الهمَل من النّاس ممَنْ يريدون إضاعةَ شَرَفِها وعِزّتِها، وإنّما تصَوِّب نظرَها لما جاءها عن الله وعن رسول الله ﷺ، وفي هٰذا المقام أورِدُ ثلاثةَ أحاديث عظيمةٍ صحَّت عن رسول الله ﷺ، أدعو المرأةَ علىٰ وجه الخصوص أن تتأملها تأمُّلًا دقيقًا، وتقفَ علىٰ ما اشتَملت عليه من مضامين عِظام.

١ ـ روىٰ البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحَىٰ أو فِطرٍ إلىٰ المُصلّىٰ، فمَرّ علىٰ النِّساء فقال: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدّقْنَ؛ فَإِنِّي أُرِيتكنّ أكْثَرَ أهْلِ النّارِ**» فقلنَ: وبمَ يا رسولَ الله؟ قال: «**تكْثِرْنَ اللّعْنَ، وَتَكفرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأيْت منْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أذْهَبَ للبِّ الرّجُل الحَازِم منْ إِحْدَاكنّ**».

٢ ـ وروىٰ البيهقي في كتابه «السُّنن»[2] عن أبي أُذَيْنَة الصَّدَفِي رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**خَيْرُ نِسَائِكُمُ الوَدُودُ الوَلودُ المُوَاتِيَة المُوَاسِيَة إِذَا اتّقَيْنَ اللهَ، وَشَرّ نِسَائِكُمُ المُتَبَرِّجَات المُتَخَيِّلَات وهُنّ المُنَافِقَات؛ لَا يَدْخل الجَنّةَ منْهُنّ إلّا مثْل الغُرَابِ الأعْصَم**».

٣ ـ وروىٰ النّسائي في «السُّنن الكبرىٰ»[3] عن عُمارة بن خزيمة

---

(١) البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).
(٢) برقم (١٣٤٧٨).
(٣) برقم (٩٢٢٣).

بن ثابت قال: «كنّا مع عمرِو بنِ العاص ﷺ في حجٍّ أو عمرةٍ، فلمَّا كنّا بمَرِّ الظّهْرَانِ، إذا نحن بامرأةٍ في هوْدَجِهَا واضعةً يدَها علىٰ هوْدَجِهَا، فلمَّا نزل دخل الشِّعْبَ ودخلنا معهُ، فقال: كنّا مع رسول الله ﷺ في هٰذا المَكَانِ، فإذَا نحن بغِربَانٍ كثيرٍ فيها غرابٌ أعْصَمُ أحْمَرُ المنقَارِ والرِّجليْنِ، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يَدْخل الجَنّةَ منَ النِّسَاءِ إلّا كَقَدْرِ هٰذا الغُرَابِ مَعَ هٰذه الغِرْبَانِ**». ورواه الحاكم في «مستدركه»[1] وقال: «وَاضِعَةٌ يَدَهَا عَلَىٰ هَوْدَجِهَا فِيهَا خَوَاتِيمُ»، ورواه أبو يعلىٰ في «مسنده»[2] وقال: «فإذا نحن بامرأةٍ عليها جبائرَ ـ أي: أساور في معْصَمها من ذَهب أو فضَّة ـ لها، وخواتيمَ، وقد بسَطَت يدَها إلىٰ الهودَجِ».

أيَّتها المرأة: تأمَّلي هٰذه الأحاديث الثّلاثة تَأمُّلًا عظيمًا؛ ذكَر النّبيّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ النّار وأخبرَ أنّ أكثرَ أهلهَا النِّساء، وذكر الجنّةَ وذكر قِلّة مَنْ يدخلها منَ النِّساء، وليس ذلك تقنيطًا للمرأة من رحمة الله ولا تيئيسًا لها من رَوْحِه، وإنّما قال ذلك ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ نُصحًا للنِّساء وتحذيرًا لهُنّ ممَّا يوجِب سخط الله جلّ وعلا وعقوبتَه، وممَّا يفضي بالمرأة إلىٰ دخول النّار وإلىٰ تلك العقوبات المذكورة في تلك الأحاديث.

---

(١) برقم (٨٧٨١).
(٢) برقم (٧٣٤٣).

أليس من الجدير بالمرأة أن تقفَ وقفةً صادقةً مُتأمِّلةً في هٰذه الأحاديث ناظِرَةً في سبب هذا الوعيد، مُتجَنِّبَةً كلّ ما يُسخط الله جلّ وعلا!! وقَد نصَّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ علىٰ السَّبب الأعظم والبليَّة الكبرىٰ الَّتي أوْجَبَت لكثيرٍ من النِّساء تلك العقوبةَ ألَا وهي: التَّبرّج والسُّفور والخيَلَاء وممارسة تلكَ الأعمال والعَمل علىٰ فتن الرِّجال حتّىٰ قال: «**مَا رَأيْت منْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أذْهَبَ للبِّ الرّجُل الحَازِم منْ إِحْدَاكنّ**»[١].

فالمرأة العاقلة تَرْبَأ بنفسها أن تكون بهٰذه الصِّفة، وأن تكون بهٰذه الحال خشيةَ أن تبوء يوم القيامة بتلك العاقبة الوخيمة والنِّهاية الأليمة.

وتأملي ـ رعاك الله ـ لما رأىٰ عمرو بن العاص ﷺ تلك المرأة في ذلك المكان مبرزةً يدها مُبدِيَةً مَحاسِنَها من ذهبٍ وحُليٍّ في يَدِها واضعةً يدَها علىٰ هَوْدَجِها تذكّر وعيد النّبيّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ للنِّساء، فكيف به لو رأىٰ كثيرًا من النِّساء في هذا الزمان في سفورٍ وتبرّجٍ، وتجمُّلٍ وتزيّنٍ، وتعطّرٍ وإظهارٍ للمحاسن في صورٍ مُزْرِيةٍ!! أفلا يتّقين الله؟! أوَلَا يخشَيْنَ الوقوفَ بين يدي الله تبارك وتعالىٰ؟!

فماذا ترجو المرأة سواءً في دنياها أو في أخراها عندما تتبرّج،

---

(١) سبق تخريجه.

وعندما تبدي زينتَها، وعندما تخالط الرِّجالَ، وعندما تعمل قصدًا علىٰ فتنِهم ولفْتِ أنظارهم إليها؟! أيَّ خيرٍ ترجوه بمثل هٰذه الأعمال وأيَّ فضيلة تؤمِّلها؟! إنّه والله الخسران العظيم، والشّرّ الكبير، والبلاء المستطير.

أمَّا المرأة العاقلة فإنّها بعيدةٌ كلّ البُعد عن هٰذه الأعمال، خائفةٌ من الله ربِّ العالمين ذي الجلال والكمال، حريصةٌ علىٰ طاعة الله ونيل رضاه.

ولتتأمَّل المرأة في هٰذا المقام ما رواه الإمام أحمد في «مسنده»[1] عن عبد الرَّحمٰن بن عوف ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَة خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا؛ قِيلَ لَهَا: ادْخلي الْجَنّةَ منْ أيِّ أَبْوَابِ الْجَنّةِ شِئْتِ**»؛ فهنيئًا للمرأة المسلمة هٰذا الموعود الكريم والفضل العظيم إن عاشت حياتَها مطيعةً لله، ممتثلةً أوامرَه سبحانه مبتعدةً عن نواهيه، فإن عاشت حياتها كذلك فإنّها تعيش عِيشَةً كريمةً وحياةً طيِّبَةً، ولها يوم القيامة موعودٌ كريم وفضل عظيم وذلك برضا الرَّبِّ جلّ وعلا عنها ودخولها جنّات النّعيم ونجاتها من عذاب الله تبارك وتعالىٰ، أمَّا إذا اغترّت المرأة بزخرف الحياة الدّنيا وفِتَنها المُتنوِّعة ولهْوها الباطل وزيفها المُنْصَرِم فإنّها تفتَن

---

(١) برقم (١٦٦١).

في دينها ويضيع منها خلقها وتذهبُ عنها عِفّتها وتترحَّل عنها الأخلاق والقيم والآداب.

ولهٰذا فإنّ علىٰ المرأة المسلمة أن تتّقيَ الله جلّ وعلا وأن تحَافِظَ علىٰ طاعة الله وأن تَمتَثِلَ أوامرَه جلّ وعلا، وأن تَبتَعِدَ كلّ البُعْدِ عن أسباب الزّيغ والانحراف، وعلىٰ أولياء الأمور أن يتّقوا الله في نسائهم وبناتهم، وأن يحَقّقوا القِوَامة فيهنّ بحُسْنِ رعايَتِهنّ وتمام تأديبِهِنّ وأخذهِنّ بآداب الشّريعة وضوابطها القويمة المستقيمة.

والمرأة ضعيفةٌ والتّأثير فيها سريعٌ جدًّا؛ تسمع عباراتٍ مغريةً وكلماتٍ مزيَّنةً وألفاظًا فاتنةً وأقوالًا يُدّعىٰ أنّها من باب النّصيحة لها فَتفتن بذلك كلّه، لكن علىٰ المرأة أن تكون يقِظةً فطِنةً، وأن يكون بين ناظريها مخافة ربِّها، وتذكّر الوقوف بين يدي الله ﷻ وأنّ الله ﷻ سائلها عمّا جاء في كتابه وسنّةِ نبيّه ﷺ، وعليها في هٰذا المقام أن تكثِر من الدّعاء وأن تلحَّ علىٰ الله جلّ وعلا أن يحفظَها من الفتن وأن يَسترَ عَوْرَتَها وأن يؤمِّن رَوْعَتَها وأن يَحْفَظَها بما يحفظ به عباده الصَّالحين، فالدّعاء مفتاحُ كلّ خير في الدّنيا والآخرة، ومع الدّعاء تَبْذُل الأسبابَ النّافعات للسَّلامة والنّجاة والخلاص والفِكاك من تلك الأمور المهلكات.

❊❊❊

نعمة اللباس، والفتنة فيه

إنّ ذِكر النِّعمة سببٌ لشكر المُنعِم سبحانه، والشّكر سببٌ للمزيد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ [سورة إبراهيم].

وإنّ من نعم الله العظيمةِ علىٰ عباده نعمةَ اللّباس بأنواعه المختلفة وأصنافه العديدة؛ فهي نعمةٌ عظمىٰ ومنّة كبرىٰ، ولذا فإنّ الله ﷻ عدّ هٰذه النِّعمةَ وذكرها سُبحانه في جملة نعمه العظيمَة الّتي عدّدها في سورة النّحل المعروفَة عند أهل العلم بسورة النِّعم؛ لكَثرة ما عدّد اللهُ فيها من نعمه علىٰ عبادِه، حيث جاء في خاتمةِ هٰذه النِّعم قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ۝٨١ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٨٢ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾ [سورة النحل]، فبيّن جلّ وعلا في هٰذه الآياتِ العظيمَة نعمتِه علىٰ عبادِه بأن جعَل لهم سَرابيلَ وهي

القمصان ونحوُها من ثياب القطن والكتّان والصّوف يتّقون بها الحرّ والبَرد ويتجمَّلون بها ويسترون بها عَوْرَاتِهم.

فلا ريبَ أنّ اللّباس نعمةٌ عظيمةٌ ومنّةٌ كبيرةٌ يجب علىٰ عبد الله المؤمن أن يقومَ بشكرها، وأن يستعملَها في طاعة الله ورضوانه وما يقرِّب إليه، وأن يَحْذَرَ أشدّ الحذَرِ من مُخَالفةِ أمرِ الله في اللّباس في صفتِهِ ونَوعِهِ وشُروطِه وضَوابطِه وآدابِه الّتي جاءَتْ بها الشّريعة.

ولْيَحْذَرِ المسلمُ في هٰذا الباب من كَيْد الشّيطان ومَكْرِه وطرُقِه الخفيَّة لصدِّ الإنسان عن الحقّ في هٰذا الباب وإيقاعه في أنواع من المخالفات، فقد بيَّن الله تعالىٰ أنّ عداوةَ الشّيطان للإنسان في هٰذَا الأمر وغيره قديمةٌ، وذكر سبحانه في القرآن احتيالَهُ علىٰ الأبوَيْنِ ووسوَسَتِهِ لهما ليُبْدِيَ لهما ما وُورِيَ عنهما من سَوْآتِهِمَا، ودخل عليهما في هٰذا الأمر من طرُقٍ خفيَّةٍ، وظهر لهما بصورة النّاصح الأمين، وحَلَفَ لهما علىٰ ذلك، ودلّاهما بغرورٍ، أي أنزلهما عن رُتبَتِهم العليَّة الّتي هي البعدُ عن المعاصي والذّنوب إلىٰ الوقوع فيها.

يقول الله تعالىٰ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا

ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف]، فتداركهما الله برحمته ومنّ عليهما بعَفْوه فغَفَر لهما ذلك، كما قال سبحانه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [طه].

هٰذا وإبليس مستمرٌّ في طغيانِه، غيرُ مُقلع عن عِصْيانه، حريصٌ أشدّ الحرص علىٰ إغواء الذّرِّيَّة كما أغوىٰ الأبوَيْنِ، ولهٰذا اتّجه الخطابُ في هٰذا السِّياق الكريم إلىٰ الذّرِّيَّة للحَذَرِ من هٰذا المُضِلّ الفتّان من أن يفتِنَهم بالوسوسَة كما فعل مع الأبوَيْنِ، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف].

وهنا ذكر الله جلّ وعلا النِّعمة علىٰ عباده باللّباسَيْن:

❖ لباس الباطن بالتّقوىٰ، وهو يستمرّ مع العبد ولا يَبْلَىٰ ولا يَبيدُ ما حافظ عليه العبدُ، وهو جمال للقلب والرّوح.

❖ ولباس الظّاهر بالثّياب الّتي تستر العورةَ وتواري السَّوأة وتكون جمالًا للنّاس.

وإذا فَقَد الإنسان لباسَه الظّاهر أو نَزَعه بدَت سَوْأته، وفي هٰذا دليل علىٰ أنّ كشفَ العَورة من عظائم الأمور، وأنّه مُسْتَهْجَن في الطّباع، ولذلك سُمِّيَتْ سَوْأَةً؛ لأنّه يسوءُ صاحبَها انكشافها، وأمّا

اللّباس الباطن وهو التّقوىٰ فبتقدير عدمه فإنّها تنكشف عَوْرَته الباطنة، وينالُه الخزْي والفضيحة، ويقعُ في أنواع الفساد والرّذيلة، ويتعرّىٰ بذلك من كِساء الحياء والخوف والمراقبة والسّتر والعفّة وغير ذلك، ولهٰذا قال سبحانه: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾؛ لأنّه يترتّب علىٰ صلاحه صلاحُ الظّاهر، ويترتّب علىٰ فساده فسادُ الظّاهر؛ فإذا ازدانت القلوب بالتّقوىٰ زانت الأبدان، وصلحت الأعمال، وتجمَّلت الجوارح بالحِشمةِ والعفاف والسّتر والحياء والمراقبة لله تبارك وتعالىٰ، وإذا انتزعت التّقوىٰ من القلوب وذهب عنها هٰذا اللّباس العظيم انحطت الأبدان في أنواع كثيرة من الرّذائل، وصنوفٍ عديدةٍ من الخسائس.

ثمَّ إنّ الشّيطان عداوته للإنسان في لباسه قديمةٌ جدًّا وكيدُه له فيه قديمٌ؛ يكيد للإنسان كَيْدًا عظيمًا ليُجرِّدَه من لباسِه وليكشِفَ عوْرَتَه وليُجرِّدَهُ من حيائه وحِشمَتِه، ولهٰذا قال الله تعالىٰ بعد تذكيره بهٰذه النِّعمة موجِّهًا الخطاب للذّرِّيَّة: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سُورَةُ الأَعرَافِ]، فحذَّر سبحانه الذّرِّيَّة من أن يفعَل بهم الشّيطان كما فعَل بأبيهم بأن يُزيِّن لهم المعاصي ويرغِّبهم في المحرّمات ويوقِعَهم في الخطيئةِ، وأخبر سُبحانه أنّ هٰذا العدوَّ

يراهُم من حيث لا يَرَوْنَه، قال مالك بن دينار: «إنّ عدوًّا يراك ولا تراه لشديدُ المؤنة؛ إلّا مَن عَصَم الله»[1].

وإذا كان هٰذا العدوّ قد تمكّن ببالغ كَيْده وشدّة مكرِه وتَوالي وسوسَتِه أن يُخْرِجَ الأبوَيْنِ من الجنّة؛ فلأنْ يتمكّن من إيصال شيءٍ من هٰذه المَضارّ وإلقاء شيءٍ من هٰذه الوساوس إلىٰ الذّرِّيَّة من باب أوْلىٰ، ولا سيَّما النِّساء لشدّةِ ضعفِهنّ وقلّةِ إدراك كثيرٍ منهُنّ.

وبهٰذه اللّفتة القويّة حذَّر تعالىٰ بني آدم منه بالاحتراز الدّائم من كيده ووسوسته، وختَم سبحانه الآية بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أمّا المؤمنون فليس له سلطان عليهم ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾ [النحل]، ولهٰذا فبقَدْر ضَعْف الإيمان في الإنسان يكون نفوذ الشّيطان إليه، وهي خطوات يتدَرَّج بها الشَّيطان مع الإنسان إلىٰ أن يُوقِعَه في الحضيض، وفي حمأةِ الرَّذيلة، وفي شدّة الفساد، ولا سيَّما مع المرأة حيث يستغلّ ضعفَها ونقصَ عقلها ودينها فيوقعها في أنواع من التّجرّد من اللباس والتّعرّي من الفضائل عبر خطواتٍ عديدةٍ وكيدٍ مُتَواصِل، إلىٰ أن آل الأمر في بعض النِّساء إلىٰ الخروج بادية

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٤٦٠).

الرّؤوس والأعناق والمعاصم والأذرع والسُّوق ونحو ذلك، نزعًا للحياء، وانغماسًا في الوَباء.

ثمَّ إنّ الله تبارك وتعالىٰ خاطب بني آدم خطابًا آخر في هٰذا السِّياق له تَعلّقٌ باللّباس فقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [سورة الأعراف]، فأخبر سبحانه أنّه أخرج لعباده الزِّينةَ من أنواع اللّباس علىٰ اختلاف أصنافه، والطّيِّبات من الرِّزق من مَأْكَلٍ ومَشْرَبٍ بجميع أنواعه، وجميعُ هٰذه الأشياء الأصل فيها الإباحة والحِلّ إلّا ما جاءت الشّريعة بتحريمه من ذلك، وليس لأحدٍ أن يحرِّمَ شيئًا من ذلكَ إلّا بدليلٍ شرعيٍّ صريحٍ، ولذا قال سُبحانه: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾، أي مَن هٰذا الّذي يُقْدِم علىٰ تحريم ما أنْعَمَ الله علىٰ العباد؟ ومَن ذا الّذي يُضيِّق عليهم ما وسَّعه الله؟ ولهٰذا فالأصل في العادات من المآكل والمشارب والملابس والذَّهاب والمجيء والكلام وسائر التّصرّفات المُعتادَةِ الحِلّ، فلا يحرُمُ منها إلّا ما حرّمَه الله ورسوله، إمَّا بنصٍّ صريحٍ أو يدخل في عموم أو قياسٍ صحيحٍ، وإلّا فسائر العادات حلالٌ، كما دلّ علىٰ ذلك النّصّ المُتقدِّم، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ

جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وغيرهما من النّصوص، فالله جلّ وعلا أمرَ عبادَه باللّباس ولم يُعيِّن نوعًا منه يجبُ التزامُه، وإنّما الأمر في ذلك عائدٌ إلىٰ عادات النّاس وأعرافِهم، فالأصل في اللّباس الإباحة كما قال نبيّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**كلوا، وَاشْرَبُوا، وَالْبَسُوا، وَتَصَدّقوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ**»[1]. قال ابنُ عبَّاسٍ: «كلْ مَا شِئْتَ، والْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ أو مَخِيلَةٌ»[2]، لكن جاءت الشّريعة بجملةٍ من الضَّوابط والشّروط والقيود لا بدّ من مراعاتها في اللّباس، فهي تَكفل للإنسان سعادتَه وحشمتَه وفلاحَه في دنياه وأخراه، ولهٰذا يجب علىٰ كلّ مسلم أن يتقيَّد في لباسه بضَوابط الشّريعة وقيود الإسلام ـ وقد بسطها أهل العلم في مُؤَلّفات عديدةٍ ـ لتتحقّق له الفضيلة وليتمَّ له الكمال.

والفتنة في اللّباس تأخذُ أبوابًا عديدةً ومجالاتٍ مُتنوِّعةً، والحديث عن أنواع اللّباس الّتي زُجَّ بها لتَوريط المرأة فيها واسعٌ جدًّا، حتّىٰ إنّه باتَ من المُعضِلات أن يجدَ أهل الفضل والخير لباسًا مُحتَشَمًا يشترونه لنسائهم وبناتِهم.

---

(١) رواه البخاري معلقا في «كتاب اللباس»، ووصله أحمد (٦٦٩٥)، والنسائي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري معلقا في «كتاب اللباس»، ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٤٨٧٨).

والواجب علىٰ المرأة أن تحذرَ أشَدّ الحذرِ من كيد الأعداء ووساوس الشّيطان في خطواتٍ لهم جريئةٍ نحوَ تجريد المرأة من لباسِها وتعريَتِها من حشمتِها في ثيابٍ كثيرةٍ اسْتجْلبَتْ إلىٰ أسواق المسلمين توريطًا للمرأة المسلمة وإيقاعًا لها في حَمْأةِ الشّرّ، وشَغْلها بأنواع من الألبسة الكاسيَة العاريَة، وتهييج قلبِها إلىٰ حُبّ التّشبّه بغير المُسلمات ممّن يَمْشِينَ علىٰ الأرض دون إيمانٍ يَرْدَع أو خلقٍ يَزَع أو أدبٍ يَمْنَع، وجرِّها من وراء ذلك كلّه إلىٰ منابذة الشّريعة، وجرّ أذيال الرّذيلةِ، والبُعد عن منابع العِفّة والفضيلة، وفي صحيح مسلم[1] عن أبىٰ هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **«صِنْفَانِ منْ أهْل النّارِ لَمْ أرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاط كَأذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُءُوسُهُنّ كَأسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لاَ يَدْخلْنَ الْجَنّةَ، وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ منْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»**.

وممّا ينبغي أن يُعلَم أنّ ستْرَ المرأة وحشمَتَها وحياءَها عائدٌ إلىٰ قوّة إيمانها ودينها، ويُنظَر في هٰذا علىٰ سبيل المثال إلىٰ حال أمّ سلمةَ رضي الله عنها لمّا ذَكَرَ النّبيّ ﷺ أنّ المرأةَ ترْخي شِبرًا قالت: «إذًا ينكشف عنها» فقال النّبيّ ﷺ: **«ترْخِي ذِراعًا، لا**

(١) برقم (٥٧٠٤).



تَزِيدُ عَلَيْهِ»[1].

أمَّا مَن رقّ دينُها وضَعُفَ إيمانُها؛ فإنّ همَّتَها مُتّجهَةٌ إلىٰ الكشف شِبرًا أو ذراعًا أو أزْيَدَ بحسب رقّة الدِّين، وربَّما زعمَت أنّ في ذلك تَحضّرًا وتمدّنًا ورُقِيًّا، والواقع أنّه إلىٰ الحضيض وإلىٰ الهلاك.

فلتتقّ اللهَ المرأة المسلمة، ولْتراقِبْ ربَّها جلّ وعلا في السِّرِّ والعلانية، ولْتَعْلَمْ أنّ سِترَها ولباسَها يُعدّ حشمةً لها، وصِمَام أمان لها يحفظها بإذن الله من الفتن وعاديات السُّوء.

(١) أخرجه أبو داود (٤١١٧)، والترمذي (١٧٣٢)، وابن ماجه (٣٥٨٠).

زينة الإيمان

زينة الإيمان تلكم هي الزِّينة العظيمة والحِليَة البَهيَّة الجميلة؛ الّتي مَنْ وُفّق للتّحلّي بها والتّجمُّل بها والتّزيّن بها فقد وُفّق لأعظم الخير وسعِد في دنياه وأخراه؛ إذ هو الزِّينة الحقيقيَّة والحِلية الّتي لا نَظيرَ لها ولا مثيلَ، ومَن عرِيَ عن هٰذه الزِّينة فإنّه فاقدٌ للجمال وإن كان مُتَحلّيًا بأبهىٰ الحُلل وأحسَن الثّياب، ولمَّا ذَكَرَ الله ﷻ في سورة الأعراف نعمةَ اللّباس وإنزاله للنّاس ليكون لهم زينةً وسترًا وجمالًا قال ﷻ في ذلكم السّياق الكريم: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، إذْ إنّ لباسَ التّقوىٰ وحِليَةَ الإيمان هو الحلية الحقيقيَّة والزِّينة التّامَّة الكاملة الّتي مَنْ فقدَها فقَدَ الخيرَ والفضيلةَ وفَقَدَ الحُسنَ والجمالَ، فأيّ جمالٍ يُتَصوَّر بدون إيمان!! وأيّ حلاوةٍ وحُسْنٍ تتصوَّر بدون تقوىٰ الرّحمٰن ﷻ!! نعَم قَد تكون هناكَ مظاهرُ زائفةٌ، وأمورٌ يُفتَنُ بها النّاس ويظنّون أنّهم بها علىٰ أكمل زينةٍ وأحسنِ حِلْيَةٍ، إلّا أنّهم بفقْدهم لزينة الإيمان وحلاوةِ الإيمان يكونون فاقِدين للزِّينةِ الحقيقيَّة والجمال الحقيقي.

ولقد امتنّ الله ﷻ علىٰ أهل الإيمان بأن أكرَمَهُم بهٰذه الزِّينة، وجمَّلهم بهٰذه الحِليَةِ، وأصبحوا لمخالطة الإيمان قلوبَهم،

ولتذوّقِهم طعمَه وحلاوَته، ولمعرفتهم بقدره ومكانته؛ يحسُّون بمكانة هٰذه الزِّينةِ، ويجدون ذلكَ في قلوبهم، قال الله تعالىٰ في سورة الحجرات: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾، والشّاهد قول الله ﷻ: ﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾ أي: الإيمان ﴿فِي قُلُوبِكُمۡ﴾؛ فأصبحَ قلبُ المؤمن الّذي منّ الله ﷻ عليه بذوقِ هٰذه الحلاوة وشهودِ هٰذا الطّعم والهناءة بهٰذه اللّذة يجد هٰذه الزِّينة في قلبه، ويحسُّ أنّ هٰذه الزِّينة الّتي منّ الله ﷻ عليه بها وأكرمه بأن جعله من أهلها هي الزِّينة الحقيقيَّة والجمال الحقيقي، فلا يغترّ بالمظاهر الزّائفة الّتي تكون لأناسٍ مُعوِّقًا وصارفًا عن تحقيق الإيمان وتتميمه وتكميله؛ بل لقد آل الأمر ببعض النّاس إلىٰ أن أصبحوا في البحث عن الزِّينة الموهومة يخالفون شرعَ الله ويعصُون رسولَه ﷺ ويخالفون الفطرة السَّليمة الّتي خلقهم الله ﷻ عليها وهُم في توهّمهم الخاطئ يظنّون أنّهم بذلك يحقّقون الزِّينَةَ والحِليةَ لأنفسهم، وأنّهم يكتَسبون بذلك حُسنًا وجمالًا، وهيهات ثمَّ هيهات أن يُكتَسب الجمال بعصيان الرّحمٰن، وأن تنالَ الحِلية بمخالفة الرّسول الكريم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، وواقع هؤلاء أنّهم يعيشون أوهامًا زائفةً وظنونًا فاسدةً وتحوّلاتٍ في الفِطَر القويمة والعقول المستقيمة.

والعاقل يبني حِليَتَهُ وزِينَتَهُ في ضوء ما حُدّ له في شرع الله المُطَهَّر وسُنّة نبيِّه الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، وفي الدّعاء المأثور عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ وهو في «السُّنن الكبرىٰ» للنّسائي وغيره بسندٍ ثابتٍ من حديث عمَّار بن ياسر وهو من جملة أدعية الصَّلاة، يقول ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**اللّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**»[1]. فيسأل ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ ربَّه هٰذا السُّؤال العظيم والمطلب الجليل والمقصد النّبيل؛ وهو التّزيّن بزينة الإيمان والتّجمُّل بجمال التّقوىٰ، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

وهٰذا التّزيّن والتّجمُّل بحِليةِ الإيمان وزينته يتطلّب من العبد الموفّق مجاهدةً للنّفس واستعانةً بالله ﷻ كما قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِالله**»[2]. فيجاهد نفسَه علىٰ التّحقّق بحقائق الإيمان وشرائع الإسلام ساعيًا في تكميل نفسه بذلك وتتميم جماله الظّاهر والباطن بتحقيق ذلك، وهو في كلّ ذلك يطلب من الله مدّه وعونَه.

وزينة الإيمان هي زينةٌ تتناول ظاهرَ العبد وباطنَه؛ فهي زينةٌ للقلب بحقائق الإيمان وأصول الدِّين، وأعظمُ ذلكم: أصول

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الإيمان الّتي يقومُ عليها دينُ الله وتقوم عليها هٰذه الزِّينة «**أنْ تؤْمنَ بالله، ومَلائِكَتِهِ، وكتبِهِ، ورُسُلِهِ، واليَوْم الآخِرِ، وَتؤْمنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[١]. وهي أصول وأسسٌ يقوم عليها هٰذا الجمال العظيم والزِّينة العظيمة؛ زينة الإيمان، قال الله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال الله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [سورة البقرة]، وقال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة النساء].

فهٰذه أسسٌ يُبْنَىٰ عليها هٰذا الجمال العظيمُ وتقومُ عليها شجرة الإيمان الّتي لا أزْيَنَ منها وأحسنَ، فقِيامُها علىٰ أصلٍ ثابتٍ، ومنه تتفرّع الفروع الجميلة البهيَّة الحسنة ـ فروع الإيمان ـ وهي أنواع الطّاعات وصنوف القرُبات الّتي يتقرّبُ بها المسلم لربّه جلّ وعلا، ثمَّ بعد ذلك تأتي الثّمار الجميلة الحسنة البَهيَّة الّتي يجنيها المؤمن ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥]، فلا يزال المؤمن يجني من ثمار هٰذه الشّجرة الجميلة البهيَّة في كلّ وقتٍ

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

وحينٍ في دنياه وأخراه؛ من سعادةٍ، وراحة قلبٍ، وقرّة عينٍ، وهناءة نفسٍ، وسَعَةِ رزقٍ، وذهاب همٍّ، وزوال غمٍّ إلىٰ غير ذلك من الثّمار في هٰذه الحياة الدّنيا، وثواب الآخرة خيرٌ وأبقىٰ.

ثمَّ إنّ تزيّنَ الظّاهر وتجمُّلَه بزينة الإيمان إنّما يكون بلزوم فرائض الدِّين وواجبات الإسلام والشّرائع الّتي أمر بها العبدُ وفي مقدِّمةِ ذلك مباني الإسلام الخمسة الّتي قال عنها النّبيّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في حديث ابن عمر: «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَىٰ خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلّا اللهُ وأَنّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وإِقَام الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الزّكَاةِ، وحَجِّ البَيْتِ، وصَوْم رَمَضَانَ**»[1]. فإنّ هٰذه الأعمال المباركة والطّاعات العَظيمة هي في الحقيقَة زينةٌ للمسلم وجمال، إضافةً إلىٰ كونها سبب فلاحه وسعادته في دنياه وأخراه؛ فالصَّلاة نورٌ لصاحبها وبهاءٌ وحُسن، وكذلكَ عموم الطّاعات لا يزال العَبد يزداد بها حسنًا وبهاءً، بخلاف المعرِض عن دين الله ﷻ؛ فإن الخطيئة والمعصية والبعد عن طاعة الله ﷻ ظلمةٌ في الوجه ووحشةٌ في الصَّدر، وكذلك النّكوص عن شرع الله ﷻ بممارسة البدع المُحدَثات يسبِّبُ ذلك كما قال عبدُ الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «صاحبُ البدعة علىٰ وجهه ظلْمَةٌ؛ وإن ادّهن في اليوم ثلاثين مرّةً»[2]. أي: أنّ

(١) أخرجه البخاري (٨)، واللفظ له، ومسلم (١٦).

(٢) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٥٩).

وضعَ الدّهون علىٰ البدن للتّجميل والتّحسين لا تذهب ظلمةَ البدعة وظلمةَ المعصية لله ﷻ منَ الوجوه.

وكذلك من الجمال العظيم عناية المسلم بآداب الشّريعة وأخلاقِ الإسلام؛ فإذا أكرم الله ﷻ عبده بالتّحلّي بالآداب الفاضلة والأخلاق الكاملة والمعاملات الرّفيعة؛ فإنّ كلّ من يخالطه يحسُّ بهٰذا الجمال ويلمس هذا الحُسن الّذي يكسو من كان مُتحلّيًا مُتجَمّلًا مُتزَيّنًا بأخلاق الإسلام الفاضلة، وقد أتىٰ نبيّنا - عليه الصّلاة والسّلام - بالآداب الكاملة والأخلاق الرّفيعة الفاضلة الّتي تسمو بصاحبها في عالي الدّرجات ورفيع الرّتب، إضافةً إلىٰ ما أعدّه الله ﷻ لذوي الأخلاق الرّفيعة من أجرٍ وثوابٍ، حتّىٰ إنّ النّبيَّ ﷺ سُئِلَ عن أكثر ما يُدخِل النّاس الجنّةَ فقال: «**تَقْوَىٰ الله وحُسْنُ الخلقِ**»[١]. وقال - عليه الصّلاة والسّلام -: «**إِنّمَا بُعِثْت لأتَمّمَ صَالحَ الأخْلاَقِ**»[٢]. وقال: «**أقْرَبُكمْ منِّي مَجْلسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أحَاسِنكمْ أخْلَاقًا**»[٣]. والأحاديث في هٰذا الباب عديدةٌ.

ثمَّ إنّ ممَّا هو داخل في هذه الزِّينة - زينة الإيمان وجمال هذا الدِّين -: بُعْد العبد عن المنكرات وبُعده عن المحرّمات؛ فإنّ الله

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

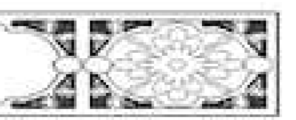
(٢) أخرجه أحمد (٨٩٥٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، من حديث جابر ﷺ، وأصله في «الصحيحين».

ﷻ لم يحرِّم علىٰ عبادِه شيئًا إلّا لما فيه من المَضرَّة عليهم في العاجل والآجل، فالمعصية وإن مالَت إليها النّفس وتطلّعت في بعض الأوقات لفعلها وتشوَّفت للوقوع فيها هي في الحقيقة هَلَكَة للإنسان في دنياه وأخراه وإذهابٌ لبهائه وحسنه، وإذا خطا في المعصية خطواتٍ كان بكلّ خطوةٍ يخطوها في المعصية يفقِدُ حظًّا ونصيبًا من زينة الإيمان وجماله بحسب ذلك.

وأختم هذه النّصائح والتّوجيهات بما ابتدأت به أوَّلًا، وهو خاتمة دعوىٰ أهل الجنّة، قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [سورة يونس].

وبالله وحده التّوفيق، لا شريك له، وأسأله سبحانه أن يوفقَ أخواتي المسلمات لحسن الانتفاع، وأن يهديَنا أجمعين صراطَه المستَقيم صراط الّذين أنْعَمَ الله عليهم من النّبيِّين والصِّدِّيقين والشّهداء والصَّالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.



فهرس الموضوعات



الرسالة الثالثة :

صفات الزوجة الصالحة

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنّ الحمد لله، نَحمده، وَنستعينه، وَنستغفره، وَنتوب إليه، وَنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وَأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلّىٰ الله وسلّم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد:

فإنّ موضوع هذه الرِّسالة الّتي هي بعنوان: «**صفات الزّوجةِ الصَّالحةِ**» ليس الكلام والخطابُ فيها مختصًّا بالشّابَّة المقبِلة علىٰ الزّواج، الرّاغبة في معرفة صفات الزّوجة، لتتحلّىٰ بها، ولتهيِّئ نفسَها لتحقيقها وتتميمها وتكميلها.

وَليس -أيضًا- مختصًّا بالمرأة المتزوِّجة الّتي أحبَّت لنفسِها صفات الزّوجة الصَّالحة، لتحافظ عليها، ولتحقّقها في حياتها.

كَما أنّه ليس مختصًّا بالمرأة المقصِّرة، لعلاج ما عندها من تقصير، وتذكيرِها بجوانب النّقص، لتتدارك أمْرها وحياتَها الزّوجيَّة الكريمة.

بَل إنّه خطابٌ وتذكرةٌ أعمُّ من هَذا كلّه؛ **فَهو تذكرةٌ للأب**

الّذي يُريد لبناته ومَن تحتَ يده؛ نشأةً طيِّبةً، وحياةً كريمةً، ودخولًا للحياة الزّوجيَّة علىٰ وَفق مُراد الله ومُراد رسوله ﷺ، لتكون عونًا له، ليذكّرهنّ بالضَّوابط الشّرعيَّة والصِّفاتِ المَرعيَّة الّتي ينبغي للفتَاة أن تنشأ عليهَا.

وَتَذْكِرةٌ للأمِّ، وهي راعية في بيتها، وَمسؤولةٌ عَن بناتها، وَموجِّهةٌ لهنّ، وَكثيرٌ من البنات ينشأن عَلىٰ أنواع من الأخلاق وَالصِّفات اكتسبنها من الأمِّ.

وَهو تَذكِرةٌ أيضًا للدّعاة؛ للعناية بهذا الأمر، وَالاهتمام به، وَالسَّعي في نشر هَذه الصِّفات الفَاضلَة والأخلاق الحَميدة وَالخِلال المباركة، لتكونَ صفات مُلازمةٍ للبنات وَالنِّساء في مجتمع الإيمان وَفي ديار المُؤمنين.

لاسيَّما وَنحن نَعيش زمنًا غُزيت فيه المَرأة غزوًا لم يَحْصل لها في أيِّ فترة مِن فَترات التّاريخ السَّابقةِ، عبر مجَالات عَديدة، وَقنوات كثيرة، وَوسائل متعدِّدة، تهدف للإطاحة بعفّة المَرأة، وَشرفِها، وَكمالها، وَحِلْيتِها، وَزينتِها، وَإيمانِها، وَأخلاقِها، وَفَضيلتِها.

وَلقد كَانت المرأة سابقًا لا يمكن أن تَصل إليهَا الدّعوَات المُفسدة والأهواءُ المُغرِضة والآراءُ المنحلّة إلّا من خِلال قَنواتٍ

ضيِّقة، إمَّا أن تكون لَها رَفيقة سوء أو نَحو ذٰلك، فتصل إليها بعض الخِلَال السَّيِّئَةِ.

أمَّا اليوم؛ فتصل إلىٰ المَرأة قَاذورات العَالم كلّه، وَأراذل العَالم كلّه، وَفسادُ العالم كلّه، وَهي في قَعر دَارها دون أن تَخرج مِن بيتهَا.

فتَجلسُ المَرأة في حُجرتها أمَام الشَّاشَة، أو من خِلال شبكة الأنترنت، أو من خِلال بَعض المجلّات الهَابطة، فيتسلّل إلىٰ عَقلها وفِكرها وَقلبِها كلّ شرٍّ وَفسَاد.

فَهي تحتاج لتكونَ صَالحةً عَفيفةً ديِّنةً قانتةً لله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ أن تَسُدّ عَن نفسِها منافذَ السُّوء، وَطرائق الشَّرِّ، وَدواخلَ الفسَاد.

وَهي مسؤوليَّة كبيرة -أيضًا- علىٰ مَن ولّاه الله أمرهَا، وَهو أمرٌ عظيمٌ يحتاج إلىٰ اهتمَام بالغٍ وَعنايةٍ فائقةٍ.

أقول: في ظلّ هَذه الحَال، وَمع قلّة التّذكير ونُدرةِ المُذكّر بصِفات الإيمان والصِّفات الفَاضلة والنّعوتِ الطّيِّبة الّتي ينبغِي أن تتحَلّىٰ بها المَرأة؛ ظَهر في كَثير مِن النِّساء ضَعْفٌ ووَهْن، وَفشَا فيهنّ قلّة الحيَاء وَالدِّين، وَظهر بينهنّ أنوَاعٌ كثيرةٌ مِنَ التّقصيرِ، وَطرائقَ شتّىٰ مِن الإخْلال.

وَبعد؛ فهَذه كلماتٌ عَن صِفاتِ الزّوْجة الصَّالحَة، أسأل الله الكريمَ رَبَّ العرش العظيم أن يكتبَ فيهَا خيرًا وَنفعًا، وَأن يَجعلَها مِفتاحَ خيرٍ مغلاق شرٍّ، وَأن يجعلَ فيها هِدايةً للقلوب، وَصَلاحًا للنّفوس، وَصِلَةً برَبِّ العَالمين، لتحقيق رِضاه، وَنيْل مَحابِّه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ، وَالبُعد عمَّا يُسخطهُ وَيغضبهُ ـ جلّ وعلا ـ؛ فأقول ـ وبالله أستعين ـ:

عندمَا نتحدّث عَن صفَات الزّوجَة الصَّالحَة وعَن الصَّلاح، ينبغي ألّا تغيب عنّا قَاعدةٌ عَظيمةٌ في هذا الباب، هِي أسُّ المَوضوع وَأساسٌ لتحصيل الصَّلاح وَاكتِسابه ونيْله؛ ألَا وَهي:

أنّ الصَّلاح لا يُنال إلّا بأمرين:

الأوَّل: تَوفيق الله ـ جلّ وعلا ـ وَهدايته وَعونُه وَتيسيرُه وَتسديدُه؛ فَالهَادي هُو الله، وَهو وَحده الموفّق، وَالأمور بيده ـ جلّ وعلا ـ، قَالَ الله تعالىٰ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]، فَالهداية بيده، وَالصَّلاح بيده، وَالتّوفيق بيده، وَمَا شَاء كَان، وَمَا لَم يشأ لَم يكن، وَلا حَوْل وَلا قوَّة إلّا بالله العَليِّ العَظيم.

وَالأمرُ الآخرُ: سَعيُ الإنسان وَبذْلهُ جُهده وَوُسعهُ في نَيْل

الصَّلاح، وطلبِه وسلوكِ أسبابِه ووسائله.

وَقد جَمع النّبيّ ﷺ بَين هَذين الأمرين في قَولِه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ ـ في الحَديث الصَّحيح: «**اِحْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله**»(١).

«**اِحْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ**» ببذل الأسبَاب النّافعَةِ وَالوَسَائل المُفيدة التِي يُنال بها الصَّلاح وَتتحقّق مِن خِلالها الهداية.

«**وَاسْتَعِنْ بِالله**» أي: كن مُعتمدًا عَليهِ، مُتوكّلًا عَليه، طالبًا عَونَه، رَاجيًا منه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ أَن يوفّقكَ وَأن يُسدِّدكَ وَأن يثبّتكَ، وأن يكونَ عَونًا لكَ علىٰ الصَّلاح والاستقامَة، فَهذه قَاعِدةٌ كبرىٰ حَوَتْ جُماع الخير.

وَقاعدةٌ أخرىٰ لابدّ من التّنبيه عليها؛ ألا وهيَ:

أنّ منبَع الصَّلاح وأصلَ معرفتِه وسبيلَ الدِّرايةِ به والهدايةَ إليه هو كتاب الله وسنّة نبيِّه ﷺ؛ فكان واجبًا وَمتأكّدا علىٰ كلّ مُذكّرٍ بالصَّلاح والإصلاح دَاعيًا إليه أن يكون مُعوِّلًا في ذلك كلّه علىٰ كتاب الله ﷻ، وسنّة رسوله الكريم ﷺ.

أمَّا القرآن؛ فيقول الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

وأما السُّنّة وهديُ النّبيِّ الكريم ﷺ؛ فيقول ﷺ: «**تَركْت فِيكمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُمَا: كتَابَ الله، وَسُنّتِي**»(١).

وعليه فموضوعنا هو: «**صفات الزّوجة الصَّالحة في ضوء كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ**».

وكلّ صفةٍ تَرد في هذه الكلمة تأتي مقرونةً بدليلها، مضمومةً إلىٰ مستنَدها من كتاب الله أو سنّة رسول الله ﷺ.

وقاعدة ثالثة: وهي أساسٌ تبنىٰ عليه جميع الطّاعات، وتقام عليه جميع الفَضائل والكمالات، ألا وهيَ تحقيق تقوىٰ الله تعالىٰ فإنّها أسُّ الفَضائل ومنبعُ الخيرات وقِوامُ السَّعادة في الدّنيا والآخرة، والواجب علىٰ المسلمة أن تَعي أنّ لزومَها لآداب الشّريعة وتحلّيها بالصِّفات الفاضلة قربةٌ من القرَب الّتي يُنال بها رضىٰ الله ويحصُل بها أجرُه وثوابُه، وبالتّفريط فيها يفوتها من ذلك بحَسب ما فرطت فيه من هذه الصِّفات، وسيأتي لهذا مزيدُ تقرير في موضعِه المناسب، إن شاء الله.

❊ وأوّل ما أبدأ به: ما جاء في سورة النِّساء في ذكر صفات الزّوجة الصَّالحة:

قال الله ـ تبَارَكَ وَتَعالَىٰ ـ: ﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ١٧٢) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٣٧).

بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، لقد أتىٰ هذا الجزء من الآية علىٰ مجامع الأمور في هذا الباب، واستوعب بدلالتِه وجمْعه كلّ صفة فاضلةٍ ونعتٍ كريم للمرأة الصَّالحة.

فدلّنا هذا النّص الكريم المبارك علىٰ أنّ الزّوجة الصَّالحة هي مَن جمعت بين صفتَين:

الصِّفة الأولىٰ: تتعلّق بصِلتها بربِّها.

والصِّفة الثّانية: تتعلّق بصلتِها ببَعلها ـ زوجها ـ.

ـ **أمّا صلتها بربِّها،** ففي قوله ـ سبحانه ـ: ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾، والقنوت هو المداومة علىٰ طاعة الله، والمحافظة علىٰ عبادة الله، والالتزامُ بطاعة الله، والعناية بفرائض الإسلام وواجبات الدِّين، وعدمُ إهمالها وإضاعتها، فكلّ ذلك داخل تحت قوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾.

ـ **الجانب الآخر** في قوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ أي: حافظةٌ لحقّ زوجها وبعلها في الغَيب، وكذٰلك في الشّهادة، تحفظه في ماله، تحفظه في فراشِه، تحفظه في حقوقِه، تحفظه في واجباتِه، ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾.

ثمَّ إنّ هذا الّذي وقع منها من حفظٍ هو بتوفيق الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ وتَيسيره وعونِه وتسديدِه؛ ولهذا قال: ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ

﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ أي: أنّ الأمر ليس بجَدارتها ولا بحَذْقِها ولا بفطنتِها ولا بكِياسَتِها، وإنّما هو بتوفيق الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ وتسديده لها وتيسيره.

وهذا يذكّرنا بما أشرت إليه قَبل قليل أنّ الصَّلاح والسَّداد كلّه بتوفيق الله وتيسيره وعونه وتسهيله.

يدخل في قوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿قَـٰنِتَـٰتٌ﴾ حفظ المرأة لفرائض الإسلام وواجبات الدِّين.

وقد جاء في هذا المعنىٰ أحاديث عن النّبيِّ ﷺ، منها: ما رواه ابن حبَّان في «صحيحه»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيَّ ﷺ قال: **«إِذَا صَلّتِ المَرْأة خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ منْ أيِّ أبْوَابِ الجَنّةِ شَاءَتْ»**.

وروىٰ الإمام أحمد في «مسنده»[2] من حديث عبد الرّحمٰن ابن عوف رضي الله عنه أنّ النّبيَّ ﷺ قال: **«إِذَا صَلّتِ المَرْأة خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: أُدْخلي الجَنّةَ منْ أيِّ أبْوَابِ الجَنّةِ شِئْتِ»**.

فهنيئًا للمرأة المسلمة بهذا الموعود الكريم والفَضل العَميم

---

(١) برقم (٤١٦٣)، وحسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب» (١٩٣١).
(٢) برقم (١٦٦١).

والخير الّذي وعدها الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ به، أعمال أربعةٌ تعدّها المرأة علىٰ أصابع اليَد الواحدة، وليس علىٰ أصابع اليدين، أعمال أربعَةٌ إذا حافظت عليها يُقال لها يوم القيامة: «**ٱدْخلي الجَنّةَ منْ أيِّ أبْوَابِهَا شِئْتِ**».

أليسَ حقيقًا بالمرأة النّاصحة لنفسها أن تعنَىٰ بهذه الأوصاف، وأن تهتمَّ بهذه الخِلال، وأن تواظب علىٰ أداء هذه الأعمال؟: حفظها لصلاتِها، وحفظها لصيامها، وحفظها لفرجِها، وحفظها لحقوق زوجِها، لتنال هذا الوعد المبارك والخير العميم، فيُقال لها يوم القيامة: «**ٱدْخلي الجَنّةَ منْ أيِّ أبْوَابِهَا شِئْتِ**».

إنّ أساسَ الصَّلاح في المرأة صَلاحُها مع ربِّها، بحُسن طاعته، وحُسن التّقرّب إليه، والمواظبَة علىٰ عبادتِه، فإنّ هذا الصَّلاح وتلك الاستقامة هي سرّ سعادتِها، وسرّ فلاحِها، وسرّ توفيقِها في حياتها كلّها بما في ذٰلك حياتها الزّوجيَّة، وصَلاح أولادها، وذرِّيَّتها، وعيشها العيشَ المبارَك الهَنيء.

ولهذا كان متأكّدًا علىٰ من أرادت لنفسِها الخير، ومتأكّدًا علىٰ أولياء الأمور الّذين يحبّون لبناتِهم الخير أن ينشِّئوهنّ علىٰ الصَّلاح والاستقامة والمحافظة علىٰ العِبادة، والعناية بفرائض الإسلام، ولاسيَّما: الصَّلوات الخَمس، وصيام شهر رمضان،

والبُعد عن كلّ ما يؤثّر في عفّة المرأة وشرفِها، وهو ما جاء بيانه في هٰذا الحديث بقوله: «**وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا**».

وحِفظ المرأة لفَرجها أمرٌ يتطلّب منها ومن وليِّ أمرها سدّ المنافذ والوسائل الّتي يكون بها الفَساد، ويحصل من خلالها الشّرّ، وتتداعىٰ من جهتِها الآثام والعياذُ بالله.

فهذا مطلَبٌ عظيم ينبَغي علىٰ من أرادت لنفسِها الخير أن تنشِّئ نفسَها عليه؛ تحافظ علىٰ طاعة الله، وعبادة الله، والتّقرّب إليه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ بما يُرضيه من سديدِ الأقوال وصالح الأعمال، ثمَّ إذا مَنّ الله عليها بالكفؤ الكريم والزّوج المناسب عليها أن تتّقي الله فيه من أوَّل الزّواج وفي بدايتِه.

وهذا يستوجِب أن ننبِّه إلىٰ مسألة أصبح الخطأ فيها شائعًا، والخلل فيها متكاثرًا، ألَا وهي: الإسراف والبَذخ الّذي يكون في ليلة الزّواج وفي نفقة الزّواج، وهذا أمرٌ خطره بالغٌ، وضررُه عظيمٌ.

وكثيرٌ من النِّساء إذا أقبلَت علىٰ الزّواج اتّجه اهتمامُها للشّكليّات، واتّجه اهتمامُها لمشاكلة بنات جِنسها ونظيراتِها، فلانة من النّاس فعلَت، وفي الزّواج الفلاني فعلوا كذا، تتّجه بنَظرها إلىٰ تلك النّظرة فيأتي الإسراف، ويقع البَذخ، ويكثر التّبذير وإضاعة الأموال، إضافةً إلىٰ ما قد يقع أيضًا من منكرات ومحرّمات، فتكون هذه البداية والتّقدمة بين يدي الزّواج سببًا

لقصور البركة، وقلّة الخير.

بخلاف ما إذا ابتعَدت المرأة عن ذلك وابتعد أهلها عن ذلك، وجانبوا الإسرافَ، وجانبوا المعاصي والآثام، وكانت النّفقة نفقةً لا كلفة فيها ولا إسراف ولا تبذير، فهُنا تتحقّق الخيريَّة، وتحلّ البركة.

ولهذا جاء في الحديث الصَّحيح عن النّبيّ ﷺ وهو في «سنن أبي داود»[1] من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «**خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسَرُهُ**». وفي حديث آخر: «**أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنّ مَؤُونَةً**»[2]. فخير النِّساء أيسرهنّ.

ولهذا ينبغي على المرأة وعلى الأب وعلى الأمّ أن يكون نصْب أعينهم في النّكاح وفي مراسيم الزّواج التّيسير لا التّعسير، والتّواضع لا التّعالي والتّرفع، والرِّفق والأناة وعدم الإسْراف والبَذخ، فهذا أمرٌ له تأثيره في الحياة الزّوجيَّة كلّها سلبًا وإيجابًا.

فإذا كان هناك يسرٌ وتيسيرٌ وبُعدٌ عن الإسراف كان ذلك من دواعي حُلول البركة وتوالي الخيرات.

وإذا بُدئ بالإسراف والتّبذير والمعاصي وأنواع الآثام، فهذا

---

(١) برقم (٢١١٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥١٢٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٢٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

من أعظم أسباب انتزاع البركة، والعياذُ بالله.

* ثمَّ من صفات الزّوجة الصَّالحة: الحذر من الشّيطان الرّجيم، والشّيطان مهمَّته في هذه الحياة الإفساد؛ إفساد الدِّين، وإفساد الخلق، وإفساد المعاملة، وإفساد العِشْرة، وإفساد الأخوَّة؛ وإفساد كلّ ما هو خيرٌ، وفي كلّ يوم يبعث بعوثا ويرسل جندًا للقيام بهذه المهام.

وتأمَّل معي هذا الحديث وهو في «صحيح مسلم»[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَىٰ المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ**». أي: يُرسل الجنود والبعوث للإفسَاد، «**فَأَدْنَاهُمْ منْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**». يعني: أقربهم إليه أعظمهم فتنةً بين النّاس، «**يَجِيءُ أَحَدُهُمْ**» يعني: أحد هؤلاء الجنود «**فَيَقول: فَعَلْت كَذَا وَكَذَا، فَيَقول: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيقول: مَا تَرَكْتهُ حَتّىٰ فَرّقْت بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، فَيُدْنِيهِ منْهُ**» أي: إبليس يُدني هذا منه، «**وَيَقول: نِعْمَ أَنْتَ**»، قال الأعمش: أراه قال: «**فَيَلْتَزِمُهُ**» أي: يحتَضِنهُ ويقرِّبهُ منه ويُدنيه إذا فرّق بين المرأة وزوجَها.

---

(١) برقم (٢٨١٣).

هنا تحتاج الزّوجة الصّالحة أن تتفقّه في هذا الباب، وأن تَعِيَ هذه الحقيقة وكذلك زوجُها، أن يعيَ كلّ واحدٍ منهما أنّ ثَمَّة عدوًّا خفيًّا يراكَ ولا تَراه، ويَجري منك مجرىٰ الدّم من العُروق؛ ينفث، ويُوسوس، ويَكيد، ويَمكر.. كلّ ذلك يمارسه وأنتَ لا تراه، يُلقي في قلبك وقلبِها الوساوس، ويُوقع الشّكوك إلىٰ أن تَقع العداوات، وله منافذ عديدة.

ولهذا جاءت السُّنّة بالتّحصين منه عند دخول البيت، وعند المعاشرة، وعند الطّعام، وعند الغضب، في كلّ أمر من الأمور يحتاج الإنسان إلىٰ التّحصين من الشّيطان؛ لئلّا يشاركه الشّيطان في أهله وبيتِه وولدِه، فيحتاج أن يحصِّن نفسَه بالأذكار المباركة، بالقرآن الكريم والدّعوات المأثورة، وبالمحافظة علىٰ طاعة الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ وعبادتِه.

إذًا من صِفات الزّوجة الصّالحة الحَذر من كيد الشّيطان ونَزغاتِه ووساوسه، وما يُلقيه في النّفوس ممّا يترتّب علىٰ الإصغاء له وسماعه فساد العِشرة وتهدّم بيت الزّوجيّة.

وكم من الأسَرِ والبيوت حصل الفِراق الّذي لم يكن بعده رَجعة بطاعة الشّيطان واتّباع وساوِسه، ولو أنّ كلّ واحدٍ منهما تعوّذ بالله من الشّيطان الرّجيم وابتعَد عن نَزغاتِه ووساوِسه لَمَا وقعت تلك الأمور ولم يحصل ذلك التّفرّق!.

كم من البيوت حصل فيها تفرّقٌ بسبب طاعة الشّيطان، ثمَّ يذهب هذا المفسِد من الشّياطين إلىٰ إبليس، لتدنو منزلته منه وتَقرُب مكانته عنده بما أحدثَه من فرْقَة بين الزّوجين!.

وهنا ينبغي أن نُلاحظ ملاحظةً مفيدةً: أنّ هذا العدوَّ الخفيَّ الّذي يراك ولا تراه صاحب خِبرة واسعة وصاحب تجاربَ عديدةٍ.

الآن عندما يتحدّثون عن بعض الخبرات لدىٰ بعض الشّركات، فإنّ أطوَلَ خِبرة قد تصل إلىٰ الخمسين أو السِّتّين سنةً؛ لكنّ خِبرة إبليس في الإغواء والصَّدِّ وحَرف النّاس وإيقاعَ العداوات؟ خِبرة آلاف السّنوات، كم منَ النّاس دخلوا الحُفَر ودُفِنوا وكانوا من أسارىٰ دعوة الشّيطان الرّجيم، ومن آثار إفساده وإغوائه؛ ولهذا يحتاج البيت المسلمُ إلىٰ أن يحصِّن نفسَه، وأن يصونَها، وأن يُبعِدَها من الشّيطان الرّجيم.

❊ ومن صفات الزّوجة الصَّالحة: إدخال السُّرور علىٰ زوجها إذا نظَر إليها؛ في هيئتِها، وفي منظرِهَا، وفي شكلها، وفي لباسِها، وأن تكونَ معوِّدةً لنفسِها علىٰ طاعتِه والاستجابةِ لأوامره بدون استِنكاف أو استكبار أو تعالٍ، وليتأمَّل في ذلك حديث النّبيِّ ﷺ وهو في «سنن النّسائي»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قيل لرسول

(١) برقم (٣٢٣١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٣٨).

الله ﷺ: أيّ النِّساءِ خيرٌ؟ قَالَ: «**الّتِي تَسُرّهُ إِذَا نظَرَ، وَتطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تخَالفهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ**». فهذه صفتها من حيث المنظرُ والهيئة والشّكل، تعتَني عنايةً فائقةً بهيئتِها ومنظرِها أمامَه وكلّما حضر، وأيضًا أوامرُه ورغباته وحَاجاته تكون محلَّ الاهتمام والعناية.

ومن الأمور المُؤسفة: أنّ كثيرًا من النِّساء لا تعرف الزِّينة والتّجمُّل إلّا إذا أرادت أن تخرجَ من البَيْت وتغادره لحضور مناسبةٍ ما أو اجتماع ما أو نحو ذلك، أمَّا فيما يتعلّق بحقّ الزّوج إذا دخل؛ فتلقاهُ بثيابٍ رثّةٍ، وبرائحةٍ غير طيِّبةٍ، وبشعرٍ شعثٍ، وبصفاتٍ تصدّه عنها وتقطَع من رغبتِه فيها، ثمَّ يُفاجأ أنّها في كلّ مرّة تريد أن تخرج من البيت تخرجُ بزينةٍ لا يحظَىٰ ولا بعُشرِها؛ فأيّ رغبةٍ تملأ قلبَ هذا الزّوج تجاه مَن هذه صفتها؟! وأيّ حُبٍّ يكتنِف جوانِحَه إذا كان هذا شأنُها معه؟

وهذا من دلائل حُمْق المرأة وقلّةِ عقلها في تحقيق كمال الحياة الزّوجيّة، وتحقيق سموِّها ورفعتِها.

إضافةً إلىٰ ما تكون عليه كثيرٌ من النِّساء من عدم الطّواعيَّة والاستجابة، وكثرة التّبرّم والتّسخّط والتّشكّي بما تواجه به الزَّوجَ وبما تواجه به غيرَه؛ فتجلب لبيتِها حياةً تعيسةً، وحياةً نكِدةً، وحياةً متفكّكةً، وتكون هي الجانية علىٰ نفسِها.

يقول ﷺ كما في «صحيح مسلم»[١] من حديث جابر رضي الله عنه: «إِذَا قَدِمَ أَحَدُكُمْ لَيْلًا فَلَا يَأْتِيَنَّ أَهْلَهُ طُرُوقًا» يعني لا يفاجئهم في اللّيل؛ لماذا؟ قال: «حَتَّىٰ تَسْتَحِدَّ المَغِيبَةُ وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ». وهذا فيه لفتةٌ كريمةٌ للمَرأة، وهو أنّه ينبَغي أن تلقىٰ زوجَها بكمال نظافَتِها وحُسن هيئَتِها وجَمال استعدادِها، ولاسيَّما إذا كان قَدِم من غَيْبة أو من سَفر، فهذا أمرٌ يتطلّب منها استعدادًا وتهيّؤًا حتّىٰ في ترتيب البيت وتهيئتِه، كما جاء عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «قَدِمَ رَسُول الله ﷺ من سَفَرٍ وَقَدْ سَتَرْت بِقِرَام لي عَلَىٰ سَهْوَةٍ لي فِيهَا تَمَاثِيل؛ فَلَمَّا رَآهُ رَسُول الله ﷺ هَتكَهُ، وَقَالَ: «أَشَدّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله»؛ قَالَتْ: فَجَعَلْنَاهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ»[٢]. لماذا وضعَت هذا القِرام ـ أي: السِّتار ـ؟ لأنّها أرادَت إذا دخل ﷺ إلىٰ البيت يجدُ فيه شيئًا من التّحسين أو التّهيئة في البيتِ نفسِه وفي المرأة نفسِها.

فنستَفيدُ من هذا الحديث فائدةً، وهيَ أنّ المرأة ينبغي أن تهيِّئَ البيتَ وترتّبَه، وأن تحسِنَ إعدادَه وتهيئتَه، كما ينبغي لها إعدادَ نفسِها الإعداد التّامَّ الكامل، وتحسن استقبالَ زوجِها، فهذه كلّها من الصِّفات الّتي جاءت في سنّة النّبيِّ ﷺ للمرأة والزّوجة الصَّالحة.

---

(١) برقم (٧١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).

ومن ذلك أيضا: ما جاء في «المعجم الأوسط»(١) للطّبراني من حديث أنس بن مالك ﷺ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ فِي الجَنّةِ؟**» يعني: الزّوجة الّتي صارت أهلًا ومهيّأة لأن تكون من أهل الجنّة بصفاتها الحميدة وخلالها المباركة، قال: «**كلّ وَدُودٍ وَلودٍ، إِذَا غَضِبَتْ أو أُسِيءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ زَوْجُهَا، قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ لا أَكْتَحِل بِغَمْضٍ حَتّىٰ تَرضَىٰ**». يعني: لا أغمضُ عَيني ولا أهنأ بنوم ولا تقرّ لي عين حتّىٰ ترضىٰ عنّي.

ومنَ المؤسفِ أنّ بعضَ النّساء لا تبالي أن يَنام زوجُها اللّيلة والثّنتين والثّلاث والعَشر والشّهر وهو مغضبٌ، وكأنّ الأمر لا يعنيها! ولا كأنّها ستلقىٰ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ ويحاسبُها علىٰ هذه الأمور وعلىٰ هذه الأعمال.

❊ ❊ ❊

❊ ومن صفات المرأة الصَّالحة: ما جاء في «سنن البَيهقي»(٢) عن أَبِي أُذَيْنَةَ الصَّدَفِيِّ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**خَيْرُ نِسَائِكُمُ الوَدُودُ الوَلودُ المُوَاتِيَة المُوَاسِيَة، إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ، وَشَرّ نِسَائِكُمُ المُتبرِّجَات المُتَخَيِّلات، وَهُنّ المُنَافِقَات، لا يَدْخل الجَنّةَ مِنْهُنّ إِلا مثْل الغُرَابِ الأعْصَم**».

(١) برقم (١٧٤٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٨٠).
(٢) (٧/ ٨٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٤٩).

فانظر إلىٰ هذه الصِّفات للزّوجة الصَّالحة:

- «**الوَدُودُ**» وهذه صفة كريمةٌ وخلّة حميدة في المرأة الصَّالحة والزَّوجة المباركة، «**الوَدُودُ**» أي: المتّصفة بالوُدِّ وحُسن التّودّد، وأحقّ النّاس بذٰلك الزّوج، أن تحسِن التّودّد إليه وأن تكسبَ مشاعِرَه وعاطفتَه بكلماتِها اللّطيفة وألفاظِها العَذبة، وحسن تودّدها له في معاملتها له، وفي مظهَرها وهيئتِها.

فالتّودّد يكون بالكَلام، ويكون بالهَيئة، ويكون بالمَظهر، ويكون بالعمل، ويكون بالخلق.

- «**الوَلودُ**» أي: كثيرة الإنجاب، وهي صفةٌ حميدة في المرأة، وهيَ من خير النِّساء، وإذا كانت المرأة مبتلاةً بعلّة أو مرض فهذا أمرٌ لا يضرّها؛ لأنّه ليس أمرًا قصَّرت فيه أو سَعت هي في الإخلال به؛ فلا يُحاسِبها الله علىٰ ذٰلك ولا يضرّها ذٰلك، ولا يتنافىٰ ذٰلك مع صَلاحها.

أمَّا إن كانت هي ولودًا، ولكنها تمنَع الأولاد، وتَقطع الإنجابَ، وتسعَىٰ في قَطعِه؛ فهذا فيه ضررٌ عليها، وقد قال ﷺ: «**تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[١].
فالّذي ينبغي علىٰ المرأة أن تسعَىٰ في وجود الأولاد، وتبذل

(١) أخرجه أحمد (١٢٦١٣) من حديث أنس ﷺ، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٧٨٤).

السَّببَ في ذلك، وتسعىٰ في تربيتِهم وتنشئتِهم ورعايتِهم، وتحتَسب لتكون سببًا في أن يوجَد في المجتمع أبناءٌ صالحون ودعاةٌ مصلحون، وتحتَسب ذلك من أوَّل دخولها في الزّواج، تقول بينها وبين الله: لعلّ الله يكرمُني بأبناءٍ من أئمَّة الهدىٰ، أو من علماء المسلمين، أو من دُعاة الخير، فيُكتَبُ لها الأجر العظيم علىٰ هذه النِّية الصَّالحة، وما يتْبَعها من العِناية والرِّعاية.

- و«**المُوَاتِيَة**» أي: الّتي ليست فظّةً ولا غليظةً، بل هي مواتيةٌ تسمَعُ وتطيعُ وتَستجيبُ ولا تَستنكف ولا تَستكبر ولا تَستعلي علىٰ الزّوج، ولا يكون منها نشوزٌ أو تعالٍ.

- و«**المُوَاسِيَة**» أي: الَّتي تواسي زوجَها، وتقف إلىٰ جَنبِه، وتكون عونًا له علىٰ الخير وعلىٰ طاعة الله، وعلىٰ ما فيه السَّعادة والفلاح.

- «**إِذَا اتّقَيْنَ اللهَ**» أي: أنّ هذه الصِّفات إنّما تكون نافعةً للمرأة إذا اتّقت الله - جلّ وعلا -، فلو كانت ودودًا ولودًا مواتيةً مواسيةً وهي تطلب بذلك أمرَ الدّنيا ليست متّقيةً لله لم تفدها هذه الصِّفات ولم تنفَعْها، وإنّما تكون هذه الصِّفات نافعةً لها إذا اتّصفَت بها طلبًا لرضَىٰ الله - جلّ وعلا - وسعيًا في تحقيق تقواه.

قال: «**وَشَرّ نِسَائِكُمُ المُتبَرِّجَات**» أي: الّتي تتبرّج بزينتِها، وتخرج بحِليتها، فتخرج متأنِّقةً متجمِّلةً متعطّرةً متحلّيةً متزيِّنةً

لتكون شرفًا للشّيطان وغرضًا له في إفساد المجتَمع.

فالمرأة المتبرِّجة الّتي تخرج بهذه الصِّفة خرجَت في الحقيقة لتكون أحدَ جنود إبليس وعونًا له علىٰ الإفساد، وهدفًا له في إيقاع الفِتنة وإثارَة الفاحشة في الّذين آمنوا.

قال: «**المُتَخَيّلات**» وهذا من الخيَلاء، وهو الكِبْر، وهناك تلازمٌ بين التّبرّج والخيَلاء، فالمرأة إذا تبرّجت وتزيّنت وتعطّرت وتجمّلت لن تخرجَ إلىٰ الشّارع وإلىٰ السُّوق بصفة متطامنَة متواضعةٍ لله تَعَالَىٰ؛ بل تخرج مختالةً متعاليةً مترفّعةً، فيها الكِبْر وفيها العُجْب بنفسِها وبهيئتِها ومنظرِها؟! فهناكَ تلازمٌ بين الخيلاء والتّبرّج، كما أنّه ثمَّة تلازمٌ بين الحِشمة والحياء.

فالمرأة المحتشِمة مُفعَمةٌ بالحياء، وقلبها ممتلئٌ منه، بينما المرأة المتبرِّجة؛ طرحت جلبابَ الحياء، ولبست بَدَله جلبابَ الكِبْر والعُجْب والغُرور والخيلاء، ممَّا يجني عليها، ويضرّ بحياتِها الزَّوجيَّة، بل بحياتها كلّها.

ولهذا وَصَف من كانت كذٰلك بأنّها شرّ النِّساء، قال: «**وَشَرّ نِسَائِكُمُ المُتبرّجَات المُتَخيّلات، وَهُنّ المُنَافِقَات، لا يَدْخل الجَنّة منْهُنّ إلا مثْل الغُرَابِ الأعْصَم**». «**الغُرَابِ الأعْصَم**» أي: الّذي في جناحَيْه وفي قَدَمَيْه شيءٌ من البَياض، ومتىٰ تشاهد الغراب الأعصم بين الغِربان السُّحم السُّود؟ من أندَر النّادر أن تَجد

الغرابَ الأعصَم؛ فالغالبُ أن ترىٰ الغِربان كلّها سوداً سوادا متكاملًا في كلّ أجزائِها، فقوله ﷺ: «**لا يَدْخل الجَنّةَ منْهُنّ إلّا مثْل الغُرَابِ الأعْصَم**». فيه كنايةٌ عن قلّة من يدخل الجنّة من هؤلاء النِّساء؛ لأنّ هذا الوصفَ في الغِربان قليل نادرٌ.

ومثل هذا الحديث قوله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ! تَصَدّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاِسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتكنّ أَكْثَرَ أَهْل النّارِ**»[(١)]. لماذا رأىٰ النِّساء أكثَرَ أهل النّار؟ عندما تنظرُ في الصِّفات الّتي جاءَ في السُّنّة عدّها في صفات الأشرار أهل النّار، تجد أنّ كثيرًا من النِّساء لا تبالي ولا تهتمُّ بذلك، حتّىٰ كأنّها ليس لها يومٌ ستلقَىٰ اللهَ فيه ويحاسبُها علىٰ ذٰلك، وقد يبلغُها الحديث والعلمُ ولٰكنّها همُّها شهوتها ورغباتها.

أحاديثُ كثيرةٌ جاءت عن النّبيّ ﷺ في ذكر أوصافٍ مذمومة للمرأة إذا اتّصفت بها؛ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال: «**لعَنَ النّبيّ ﷺ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ**»[(٢)]. وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «**لَعَنَ رَسُول الله ﷺ المُتَشَبِّهِينَ منَ الرِّجَال بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ منَ النِّسَاءِ بالرِّجَال**»[(٣)]، و«**لعن النّبيّ ﷺ**

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٤، ١٤٦٢) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٤٧)، ومسلم (٢١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٨٥).

الْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ»[(١)].

فبالرّغم من ورود هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث الّتي فيها لعن للنِّساء في أوصافٍ معيَّنةٍ، تجد في كثير منَ النِّساء مَن تسمَع اللّعن والطّرد والإبعَاد من رحمة الله، ولا تبالي؛ ولا كأنّها ستقف أمام الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ويسألها، ولا كأنّها يومًا من الأيّام ستدرَج في حفرةٍ ويُوارَىٰ عليها التّراب وتَقْدُم علىٰ أمور هائلة، حيث تكون الألوان حائلةً، والأعناق عن الأبدان زائلةً، والعيون علىٰ الخدود سائلةً، كلّ هذا تذهُل عنه ويغيبُ عن ذهنِها، ولا يكون همُّها إلّا أن تتجمَّل وتتزيَّن، ولو كانت الأعمال الّتي تمارسها معصيةً لله ومخالفةً لأمره، ومن موجبات غضبِه - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - وسخطِه.

إذًا هناك أوصافٌ ومَذامٌّ جاء بيانها في السُّنّة للنِّساء لتكون المرأة الصَّالحة منها علىٰ حَذر، ومعرفة المرأة بهذه الأشياء هيَ معرفةٌ يُقصَد منها الحذَر والاجتناب، علىٰ حدِّ قول من قال:

عرَفْـتُ الشّـرَّ لَا للشّـرِّ ... لٰكِــنْ لِتَـوَقّيــهِ
وَمَــنْ لَا يَــعْرِفِ الشّــرَّ ... مــنَ النّــاسِ يَـقَعْ فِيـهِ

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

* ومن صفات الزّوجة الصَّالحة: عدم التّقصير في حُقوق الزّوج، وبَذل الوسع والجهد في خدمتِه؛ وليتأمَّل في هذا ما رواه النّسائي في «السُّنن الكبرىٰ»[1] عن حُصَين بن محْصَن عن عمَّةٍ له: أنّها أتَت رسولَ الله ﷺ لحاجةٍ، فلمَّا فرغَ من حاجتِها، قال: «**أذَات زَوْج أنْتِ؟**» قالت: نعم؛ قال: «**فَكَيْفَ أنْتِ لَهُ؟**» قالت: ما آلوه إلّا مَا أَعْجزُ عنه؛ قال: «**انْظرِي أيْنَ أنْتِ منْهُ! فَإنّهُ جَنّتكِ وَنَارُكِ**».

متىٰ يكون الزّوج لزوجَته جنّةً ومتىٰ يكون نارًا؟ هنا يجب علىٰ المرأة أن تَعيَ هذه الحقيقة، أن تَعيَ هذا الأمر الكبير، «**أيْنَ أنْتِ منْهُ؟**». عليكِ واجباتٌ، وأنتِ عبدٌ لله، وثمَّة جنّة ونار، والله ﷻ أمركِ وأوجَبَ عليكِ هذه الحقوق تجاه الزّوج، فقومي بها، وأدِّيها علىٰ التّمام والكمال، طاعةً لله، وطلبًا لرضاه سبحانه، أدِّي الّذي عليكِ، واسألي الله الّذي لكِ «**فَإنّهُ جَنّتكِ وَنَارُكِ**».

* ومن صفات الزّوجة الصَّالحة: عدم إرهاق الزّوج بالنّفقة، وألّا تكونَ أداةً في البيتِ للبَذخ والإسراف وإضاعةً مال الزّوج، بل تعتَدل؛ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]

---

(١) برقم (٨٩١٣)، وأخرجه أحمد (١٩٠٠٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦١٢).

ولنتأمَّل في هذا البابِ ما جاء عن أبي سَعيد أو جابر[١] أنّ نبيَّ الله ﷺ خطبَ خطبة فأطالها، وذَكر فيها أمر الدّنيا والآخرة، فذكر أنّ «**أَوَّلَ مَا هَلَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّ اِمْرَأَةَ الفَقِيرِ كَانَتْ تكَلّفهُ منَ الثّيَابِ أوْ الصِّيَغِ** - أوْ قالَ: **منَ الصِّيغَةِ** - **مَا تكَلّف اِمْرَأة الغَنيِّ، فذكَر اِمْرَأَةً منْ بَني إِسْرَائِيلَ كَانَتْ قَصِيرَةً وَاتّخَذَتْ رِجْلَيْنِ منْ خَشَبٍ وَخَاتَمًا لَهُ غَلَقٌ وطَبَقٌ وحَشَتْهُ مسْكًا، وَخَرَجَتْ بَيْنَ اِمْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ أوْ جَسِيمَتَيْنِ، فَبَعَثوا إِنْسَانًا يَتْبَعُهُنّ، فَعَرَفَ الطّوِيلَتَيْنِ وَلَمْ يَعْرِفْ صَاحِبَةَ الرِّجْلَيْنِ منْ خَشَبٍ**».

فأوَّل ما كانَ هلاكَ بني إسرائيلَ أنّ امرأةَ الفقير كانت تكلّف زَوجَها منَ الصِّيغةِ والحليِّ والزِّينةِ مثل ما تكلّف امرأة الغنيِّ زَوجَها؛ ثمَّ انظر إلىٰ صَنيع هذه المرأةِ القصيرةِ وما فيه من الإسرافِ والبَذخ وإضاعةِ المال والتّدليسِ، وعدم القناعةِ بما كتَبَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - لها.

وما أشبَه ذواتِ الكعبِ العالي بها، وقد جاء في فتوىٰ اللّجنة الدّائمة للإفتاء ما نصّه:

«لبْسُ الكعب العالي لا يجوز؛ لأنّه يعرضُ المرأةَ للسُّقوط، والإنسان مأمورٌ شرعًا بتجنّب الأخطار بمثل عموم قول الله: ﴿وَلَا

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٤٨٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٩١)، وأخرج مسلم (٢٢٥٢) عن أبي سعيد وحده قصة المرأة القصيرة فقط.

تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النساء: ٢٩]، كما إنّه يُظهِرُ قامةَ المرأة وعجيزَتَها أكثرَ ممَّا هيَ عليه، وفي هذا تدليسٌ، وإبداءٌ لبَعض الزِّينة الّتي نُهيتْ عن إبدائِها».

❊❊❊

* ومن صفات الزّوجة الصَّالحة: عدمُ كفران المُنعِمين، أي: لا تكفر ما يسَّر الله ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ لها من نعمةٍ عن طريق زوجِها، وفي الحديث: «**لا يَشْكرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكرُ الناسَ**»[1].

وممَّا جاء في هذا الباب: ما رواه البخاريّ في «الأدب المفرد»[2] من حديث أسماء ابنة يزيد الأنصاريَّة قالت: مرّ بي النّبيّ ﷺ وأنا في جِوار أتْرابٍ لي، فسَلّم علينا، وقال: «**إِيَّاكنّ وَكفْرَ المُنْعِمين**» فقلت: يا رسولَ الله! وما كفْرُ المُنْعِمين؟ قال: «**لَعَلّ إِحْدَاكنَّ تَطول أيْمَتها من أبَوَيْهَا، ثمَّ يَرْزُقهَا اللهُ زَوْجًا، وَيَرْزُقها منْهُ وَلَدًا، فَتَغْضَبُ الغضْبَةَ؛ فتكْفرُ، فَتَقول: مَا رَأيْت منْكَ خَيْرًا قَطّ**».

قوله: «**تَطول أيْمَتها من أبَوَيْهَا**». يعني: يتأخّر زواجُها.

وجاء في «السُّنن الكبرىٰ» للنّسائي[3] عن عبد الله بن عمرو

(١) أخرجه أحمد (٧٩٣٩)، وأبو داود (٤٨١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤١٦).
(٢) برقم (١٠٤٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٢٣).
(٣) برقم (٩١٣٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٩).

قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَىٰ اِمْرَأةٍ لَا تَشْكُرُ لِزَوْجِهَا، وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ**».

❋❋❋

* ومن صفات الزّوجة الصَّالحة: احترامُ الزّوج، ومعرفة قدْرِهِ وَحقّه، وَجاء في هذا أحاديث، منها: ما رواه الطّبراني في «المعجم الكبير»[1] عَن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لَا آمُرُ أحَدًا أنْ يَسْجُد لأحَدٍ، وَلَوْ أمَرْتُ أحَدًا أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ لَأمَرْتُ المَرأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**».

وجاء أيضًا في «المعجم الكبير» للطّبراني[2] عن زيد ابن أرقم أنّ معاذًا قال: يا رسول الله! أرأيتَ أهلَ الكتاب يسجُدون لأساقِفتِهم وبطارقَتِهم، أفلا نسجُد لك؟ قال: «**لَوْ كنْت آمِرًا أحَدًا أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ لَأمَرْت المَرْأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَلَا تؤَدِّي المَرْأة حَقّ زَوْجِهَا حَتّىٰ لَوْ سَألَهَا نَفْسَهَا عَلَىٰ قَتَبٍ لَأعْطَتْهُ**».

ويتضاعف حقّ الزّوج إن كان رجلاً من أهل الصَّلاح والتّقىٰ والدِّيانة والمُحافظة علىٰ عبادة الله والرِّعاية لطاعتِهِ؛ روىٰ التِّرمذيّ وابنُ ماجه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) (١١/ ٣٥٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤٩٠).

(٢) (٥/ ٢٠٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٦٦).

«لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ: لَا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللهُ! فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيل، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا»[١]. قال أهل العلم: في الحديث إنذارٌ شديدٌ للنِّساء المؤذياتِ لأزواجهنّ.

❀❀❀

❊ ومن صفات الزّوجة الصَّالحة: إذا منّ الله ﷻ عليها وأكرمها بالأولاد أن تعدلَ بينهم، كما قال ﷺ: «**اِعْدِلوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ، اِعْدِلوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**». والحديث في «سنن أبي داود»[٢]، وقد جاء في هذا المعنىٰ أحاديث عديدة.

❊ ومن صفات المرأة الصَّالحة: أن تقرّ في بيتها، وألّا تكون خرّاجةً ولّاجةً، وإذا خرجت لا تخرج إلّا لحاجةٍ، ولا تكون متبرِّجةً سافرةً، وأيضًا تكون غاضَّةً لبَصرِها، حافظةً لفَرجها، وقد مرّ معنا في هذا بعض النّصوص، وممَّا ورد في هذا: ما رواه الطّبرانيّ في «الأوسط»[٣] عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن

---

(١) أخرجه الترمذي (١١٧٤)، وابن ماجه (٢٠١٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣).

(٢) برقم (٣٥٤٤) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٤٠).

(٣) برقم (٢٨٩٠ و٨٠٩٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦٨٨).

رسول الله ﷺ قال: «**المَرْأة عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ اِسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**» - أي: جعلها غرضًا له - «**وَإِنَّهَا لا تكونُ أقْرَبَ إِلَىٰ اللهِ منْهَا فِي قَعْرِ بَيْتِهَا**».

❊❊❊

❊ وَمن صفات الزّوجة الصَّالحَة: عَدم إفشاء سرِّ الزّوج والأمور الخاصَّة بين الزّوجين حتّىٰ لو وقع بينهما فرقةٌ ولم يتحقّق وئامٌ، فكلّ منهما عليه أن يتّقيَ الله - جلّ وعلا - في هذا الأمر.

وفي هذا ما رواه الإمام أحمد في «مسنده»[1] عن أسماء بنت يزيد: أنّها كانت عند رسول الله ﷺ، والرِّجال والنِّساء قعودٌ عنده، فقال: «**لَعَلَّ رَجُلًا يقول مَا يَفْعَل بِأهْلِهِ، وَلَعَلَّ امْرَأةٌ تخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا، فَأرَمَّ القَوْمُ**[2]». فَقلْت: إِي وَالله؛ يَا رَسُولَ الله، إِنّهُنَّ لَيقلْنَ، وَإِنّهُمْ لَيفْعَلونَ، قالَ: «**لَا تَفْعَلوا؛ فَإِنّمَا ذلكَ مَثَل الشّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ، فَغَشِيَهَا وَالنّاسُ يَنْظرُونَ**».

فقولها: «إنّهنّ ليقلنَ، وإنّهم ليفعلون»، بدأتْ بالنِّساء في ذكر هذا الأمر؛ لأنّه يَكثر في النِّساء ويقلّ جدًا في الرِّجال، فالمرأة تتحدّث مع رفيقاتها وزميلاتها وصاحباتها في مثل هذه الأمور الخاصَّة، وكثير

---

(١) برقم (٢٧٥٨٣)، وصححه لغيره الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٠٢٢)، وانظر الإرواء (٢٠١١).

(٢) أي: سكتوا.

منهنّ لا تبالي من أن تذكرَ لها أسرارَ زوجِها وأموره الخاصَّة.

وقوله ﷺ: «**فَإِنَّمَا ذلكَ مَثَل الشَّيْطَانِ، لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ، فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ**». يعني: المرأة الّتي بهذه الصِّفة والرّجل الّذي بهذه الصِّفة يُفشي الأسرارَ الزّوجيَّة مَثَلهما مثَل شيطان لقيَ شيطانةً في الطّريق وغشيَها والنّاس ينظرون.

هذه بعض صفات الزّوجة الصَّالحة، جمعتها من كتاب الله ﷻ ومن سنّة النّبيِّ الكريم ﷺ، راجيًا الرّبَّ سبحانه أن ينفعَ بها مَن شاء من عبادِه، فهُو وحده وليّ التّوفيق.

وأسأل الله ـ جلّ وعلا ـ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العُلىٰ أن يهدينا جميعًا سواء السَّبيل، وأن يجعل ما نتعلّمُه حجّةً لنا لا علينا، وأن يُبارك لنا في أقوالنا وأعمالنا وأوقاتِنا وأزواجِنا وذرِّيَّاتِنا وأموالنا، وأن يبارك لنا في حياتِنا كلّها، وأن يصلح لنا دينَنا الّذي هو عصمة أمرنا، وأن يُصلح لنا دنيانا الّتي فيها معاشُنا، وأن يصلحَ لنا آخرتَنا الّتي فيها معادُنا، وأن يجعلَ الحياة زيادةً لنا في كلّ خير، والموتَ راحةً لنا من كلّ شرٍّ، وأن يُصلحَ نساءَ المسلمين وبناتِهم، وأن يهديهنّ سواء السَّبيل، وأن يَردّهنّ إليه ردًّا جميلًا، وأن يعيذهنّ من الفتن كلّها ما ظهر منها وما بطن، وأن يوفّقنا جميعًا لكلّ خير يحبّه ويرضاه، إنه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ سميع الدّعاء، وهو أهل الرّجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّىٰ الله وسلّم وبارك وأنعم علىٰ عبده ورسوله ومصطفاه محمَّد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين[١].

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة، أجريت عليها بعض التعديلات اليسيرة، مع إبقائها علىٰ أسلوبها الإلقائي.